

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

القُرْبَان في الشعر الجاهليّ

إعداد

أحمد محمود جمعة أبو الهيجا

إشراف

أ.د. إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2018

القُرْبَان فِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ

إعداد

أحمد محمود جمعة أبو الهيجا

نُوقِشت هذه الأطروحة بتاريخ 2018/1/22م، وأُجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

..... - أ.د. إحسان الديك / مشرفاً رئيساً

..... - د. محمود نعمانه / ممتحناً خارجياً

..... - د. عبد الخالق عيسى / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى كل من وقفوا بجانبني

إلى أبي

ذلك النبع الصافي

إلى أمي

تلك الشجرة التي لا تذبل

إلى أخوتي وأصدقائي

الذين آوي إليهم في كل حين

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

الشكر والتقدير

بعد حمد الله والثناء عليه،

أُتقدم بالشكر الجزيل من مشرفي على الرسالة الأستاذ الدكتور إحسان الديك، الذي أحاطني برعايته العلمية والإرشادية في مراحل رسالتي جميعها.
كما أتقدم بعظيم الشكر من عضوي لجنة المناقشة؛ تقديرا مني واعترافا بفضلهم في تقويم ما اعوّج من رسالتي.

وأُتقدّم بالشكر من الصديق أحمد الخولي الذي وقف إلى جانبي دوما.
وأُتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم أو ساعد في إنجاز هذه الرسالة.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

القُربان في الشعر الجاهليّ

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة، إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name: اسم الطالب: أحمد محمود جمعة أبو الهيجا

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: 2018/1/22

فهرس المحتويات

الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ح
المقدمة	1
الفصل الأول	3
القربان في الموروث القديم	3
تمهيد	4
المبحث الأول	7
القربان في موروث الأمم القديمة	7
المبحث الثاني	23
القربان في الموروث الجاهلي	23
الفصل الثاني	52
أنواع القرايين في الشعر الجاهلي	52
المبحث الأول	57
القرايين البشرية	57
المبحث الثاني	64
القرايين الحيوانية	64
المبحث الثالث	80
القرايين النباتية	80

86	المبحث الرابع.....
86	قرايين آخر.....
86	التماثيل أو الدّمي:
93	الفصل الثالث.....
93	مواضع ورود القريان في الشعر الجاهلي
113	الخاتمة.....
115	المصادر والمراجع.....
B.	Abstract.....

القُربان في الشعر الجاهلي

إعداد

أحمد محمود جمعة أبو الهيجا

إشراف

أ.د. إحسان الديك

الملخص

يدور هذا البحث حول "القُربان في الشعر الجاهلي"، وقد جاء في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، عرضت في **المقدمة** إلى أسباب اختيار هذا العنوان، وإلى أهم المصادر والمراجع التي ستركز عليها، وجعلت الفصل الأول في تمهيد ومبحثين، تحدثت في التمهيد عن مفهوم القربان في اللغة العربية، وتحدثت في المبحث الأول عن القربان في الموروث الإنساني، فوجدتهم قد عظموا هذا العمل؛ لأنه يقرب العبد من ربه، ويعدّ الدرع الحامي من غضب الآلهة، ويعطي مقدم القرابين مكانة اجتماعية مميزة بين الناس.

ولم أجد نظرة الجاهليين في المبحث الثاني "القربان في الموروث الجاهلي" تختلف كثيرا عن نظرة الأمم الأخرى له، حيث تكاد تتطابق نظرتهم إليه مع نظرة تلك الأمم، وخلصت إلى أن البشر بعامة عليهم واجبات تجاه آلهتهم، وعليهم تأديتها، وإلا سيحلّ عليهم غضب الآلهة وسخطها، فكان القربان هو ذلك الشيء المحبب للإلهة، وهو سبيل الأمن والسلام.

أما الفصل الثاني، فقد تناولت فيه أنواع القرابين في الشعر الجاهلي حيث شهدت عملية تطور ملحوظة، فتدرجت من القرابين البشرية التي كان الجاهليون يقدمون فيها بناتهم للوُد ، ثم القرابين الحيوانية، وبعدها القرابين النباتية، وجاء هذا بعد أن قطع الفكر الديني الجاهلي مسيرة طويلة من التطور والنضج .

وفي الفصل الثالث، تناولت مواضع ورود القُربان في الشعر الجاهلي، وبيّنت علاقة القُربان بهذه المواضع، فتحدّثت عن القربان وسفح الدّم، والقربان والبغاء المقدّس، والقربان والخمر، والقربان وحلف

الأيمان، القربان والنذور، القربان والهدايا، القربان والترجيب، القربان والحج، القربان وخدمة الصنم والضيافة.

وفي الخاتمة أجملت ما توصلت إليه في دراستي من نتائج، وأتبعها بثبت المصادر والمراجع.

المقدمة

كل الأشياء تموت بانقضاء زمنها، ولها صلاحية تصبح بعدها بلا جدوى، إلا ثقافة الأمم وآدابها، فهي لا تقنى ولا تنتهي، إذ الأجيال تختزنها في اللاوعي، كيف لا وهي نتاج أجيال وأجيال، وخلاصة تاريخ وأمة، صاغها الشعراء في شعرهم قصائد حية بمعانيها وصورها، وأسكنوا فيها مشاعرهم وأحاسيسهم وأمنياتهم.

ولأن الشعر الجاهلي المثال الذي احتذاه الشعراء اللاحقون في قصائدهم، ولأنه التراث الخالد لأمة عظيمة كان وما يزال مدعاة فخرها؛ كانت الرغبة حقيقية في أن يكون القربان في الشعر الجاهلي هو موضوع هذه الدراسة؛ لقداسته عند القدماء، وحضوره إلى يومنا هذا، فرأيت أنه حريّ بالدراسة؛ لتوضيح هذا الدور الذي لعبه في حياة الأمم بعامّة، وحياة العرب بخاصّة.

والقربان يعدّ جزءا مهما من عبادة الأمم القديمة، والعلامة الفارقة عندهم للدين، فالرجل المتدين عندهم أكثرهم تقدّما للقربانين، ولما كان الإنسان القديم لا يدرك الجانب الروحي من الحياة بل الجانب الماديّ منها أصبحت القربانين أبرز العبادات وأهمها في حياتهم، فهي أهم من الصلوات مثلا. ولأنّ القربان هكذا، فقد وجدته موضوعا يستحقّ الدراسة والبحث، فعكفت على ذلك المخزون الشعري الجاهلي، أنهل منه، وأستقي منه ما يتصل بدراستي.

وكان في ذهني وأنا أستعدّ لهذا البحث تساؤلات عديدة؛ منها: ما الأسباب التي تدفع الإنسان إلى تقديم أعزّ وأعلى ما يملك قربانا للآلهة؟ وكيف كانت نظرة القدامي إلى القربانين؟ وإلى أي مدى تتسجم هذه النظرة مع عقائد الأمم القديمة؟ وما مراحل تطور هذه القربانين؟ لماذا اقتصرت القربانين على أنواع محددة من الحيوانات كالكبش والبقرة والناقة؟ وما أثر هذه القربانين في شعر الشعراء الجاهليين؟ وما مواضع ورود القربان في الشعر الجاهلي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لا بد من التّعرف إلى نظرة الشعوب القديمة للقربانين، والمقاربة بينها ونظرة الجاهليين، ولا يكون ذلك إلا بالعودة إلى المصادر والمراجع التي تحتوي في طياتها تلكم النظرة، وكان أهمّ هذه المصادر والمراجع:

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور محمد جواد علي، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي، والقربان في الجاهلية والإسلام لوحيد السعفي، إضافة إلى المجاميع الشعرية، والكتب التفسيرية التي كان أهمها: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، إضافة إلى المعاجم العربية. وقد اعتمدت في دراستي المنهج الأسطوري أساساً، واتكأت على المناهج الأخرى حيث جاءت الدراسة وصفية تحليلية تاريخية، وأفدت من الأساطير والمعتقدات والنقوش القديمة. وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة؛ وقفت في التمهيد على مفهوم القربان في اللغة العربية، وتناولت في المبحث الأول: القربان في موروث الأمم القديمة، وفي المبحث الثاني: تناولت القربان في الموروث الجاهلي، وبينت مدى تأثره بمعتقدات الأمم القديمة وطقوسهم. وقد تناولت في الفصل الثاني مراحل تطوّر القرايين في الحِقبة الجاهليّة، إذ تطورت من القرايين البشرية إلى القرايين الحيوانية، وصولاً إلى القرايين النباتية، إضافة إلى قرايين ماديّة أخرى حصرناها في مبحث خاص بها. وقد خصصت الفصل الثالث للحديث عن مواضع ورود القربان في الشعر الجاهلي، وبيان علاقة القربان بهذه المواضع، كسفع الدّم، والبغاء المقدس، والخمر، وحلف الأيمان، والنذور، والهدايا، والترجيب، والحج، وخدمة الصنم والضيافة. وفي الخاتمة سجلت خلاصة الدراسة وأهم النتائج التي توصلت إليها.

الفصل الأول

القربان في الموروث القديم

المبحث الأول: القربان في موروث الأمم القديمة

المبحث الثاني: القربان في الموروث العربي القديم

تمهيد

وُجد الإنسان القديم في أرض يجهلها، وأخذ يتلمس ما حوله، ويتميّز الذي ينفعه من الذي يضره، فوجد الشمس توفر له الدفء، فعبدها⁽¹⁾، ولكن سرعان ما عبد غيرها لغيابها، فعبد القمر⁽²⁾؛ لنوره ليلاً، ولتعدد أشكاله، ولتجدده المستمر، وعبد الكواكب والنجوم والأجرام السماوية، وعبد النباتات والأشجار، وعبد الحيوان والإنسان.

ثم أخذ يربط بين الزلازل والبراكين والفيضانات وغيرها، وغضب الآلهة، ومدى تأثيرها فيه، فوجد أنه صغير أمامها، واعتقد أنّ كل ما يحلّ به من مصائب وكوارث، مسلط ومقصود، وليس محض صدفة، ولذلك سعى جاهداً إلى إرضاء هذه القوى الطبيعية العاتية، فعبدها وأصبحت آلهة له، يقدّم لها قربانين، ليتقرّب منها ما استطاع سبيلاً.

ولذلك عدّ القربان -منذ القدم- أساس الحياة، فهو هدية العبد للإله المعبود، يُبعده عن الأذى الموعود، وبه تبدأ حياة المولود، وهو الذي يحفظها، وقد رأى الإنسان القديم أن في القربان الحياة، وهو عنصر عزيز لا مفرّ منه، وكان يركز في تقديم القربان على سفك الدم، لاعتقاده أن الآلهة تشرب من دم الضحية، وأنها لا تهدأ ولا تستجيب لطلب الإنسان إلا بشرب هذا الدّم⁽³⁾. ومن هنا نستدل أن الضحية ضحية دم لا ضحية لحم، وأن الدم أحبّ الوجبات للآلهة على الإطلاق، ولما كان الإنسان مؤمناً بأن هذه الآلهة لها دور رئيس في الحفاظ على نظام الكون السائد⁽⁴⁾، جاد بما يملك، ولم يبخل عليها.

وهذه الفكرة ناتجة عن تخیلاتهم القائمة عن وحشية الآلهة، والهمجية الدينية، المتأتية من الخوف منها⁽⁵⁾، وأن الإله سيّد، له من عباده واجبات وهدايا، بتقديمها يحصلون على الرضا والخير والبركة والسلام، ومن غير سفك الدم لا أمن ولا استقرار⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ نجد الأمر نفسه عند العرب، فيقول الله تعالى: ﴿وَجَدُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سورة النمل، الآية 24.

⁽²⁾ ويقول أيضاً: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ، وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾، سورة فصلت، الآية 37.

⁽³⁾ الباش، حسن السهلي: المعتقدات الشعبية، (د.ط)، دار الجليل، (د.ت)، ص 256.

⁽⁴⁾ ألبديل، م.ف: سحر الأساطير (دراسة في الأسطورة والتاريخ والحياة)، ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 2005م، ص 162.

⁽⁵⁾ الخطيب، محمد: الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية، دمشق: دار علاء الدين، 2004م، ص 110.

⁽⁶⁾ كنتينو، جورج: الحضارة الفينيقية، ترجمة: د.عبد الهادي شعيرة، مراجعة د. طه حسين، (د.ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 159.

القربان لغة:

القُربان بالصّمْ: ما قَرَّبَ إلى الله، تقول: قَرَّبْتُ لله قربانا، وتقَرَّبَ إلى الله بشيء، أي طلب به القُربة عنده تعالى، وفي التَّنْزِيلِ العَزِيز: ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ بُكَاءَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾¹. وكان قربان الأمم السالفة ذبح البقر، والغنم، والإبل.

وقد دلت كلمة قربان في اللغة العربية على معان متعددة، وإن التقت في معظمها على الدنو إلى الشيء²، والتقارب بين اثنين، فالقربان هو ما يتقرب به العبد إلى الإله المعبود من ذبيحة، سواء كانت بشرية أو حيوانية أو نباتية أو غيرها، فقربان الأمم القديمة ذبح الإبل، والبقر، والغنم، والقربان المقدس عند المسيحيين هو ما يقدسه الكاهن في القداس من الخمر والخبز، وقربان الملك أي جليس الملك وخاصته³، فلكل ملك طبقة من السادة، لهم مكانة ومنزلة في أهلهم، يقربهم الملك من عرشه ومجلسه، وقد سميت هذه الطبقة ب (قرايين الملك)، لقربهم ودنوّهم من سريره؛ لنفاستهم وجلالتهم⁴.

وفي ذات المعنى من الدنو والتقارب، يقال أقربت الحامل: أي دنا موعد ولادتها، وقارب الإناء: أي دنا موعد امتلائه، وقاربه الرأي: داناه في الرأي، واقترب القوم: دنا بعضهم من بعض، وتقاربا: أي دنا كل منهما من الآخر، وتقرب إليه: أي حاول الدنو منه وتوسّل إليه، واستقربه: عدّه قريبا، أو طلب أن يكون قريبا، والتقربات: مثل: ظهرت تقربات الماء: تباشيره، وهي حصى صغار، إذا رآها مستنبط الماء استدلّ بها على قربه، والقارب: أي الزورق؛ لقرب الخشب من بعضه، المكوّن له، والقراب: القريب من، فيقال: ما هو بماء ولا قراب ماء: لا قريب من ماء، والقراية: أي الدنو في النسب، فتقول: فلان قرابتي: ذو قرابة مني، والقربة: ظرف من جلد، تستخدم لحفظ الماء أو اللبن ونحوهما، والمقربة: الفرس أو الناقة ونحوهما؛ إذ هي قريبة من الإنسان، معدّة للركوب⁵. وإذا عدنا إلى القرآن الكريم نجدّها تدل على معان مختلفة، فقد تدل على معنى القرب المكاني، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾⁶، وهنا ينفي القرآن الكريم التقارب بين اثنين، المشركين والمسجد الحرام، وهناك قرب زمني، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ

¹ سورة المائدة، آية 27.

² ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر، مادة (قرب).

³ تاج العروس، مادة (قرب).

⁴ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، (د.ت)، ج295/9.

⁵ مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (قرب).

⁶ سورة التوبة، آية 28.

أَذْمِرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ¹، والقرب هنا بين المشركين وموعد عذابهم، ويكون القرب أيضا في النسب، لقوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ²، والقرب هنا بين الرجل وورثته، ومثلها فلان قريب، وهناك ما يسمى بقرب الخطوة، إذ يقول الله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ³ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ⁴، وهو عندما يكون إنسان قريبا من إنسان آخر، ويحتل عنده مكانة مرموقة، بإمكانه أن يتصل به متى شاء، ويوحد له بكل شيء. وقد تستخدم في التشديد في النهي عن الأمر، فيقال: لا تقربه، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ⁵، ولا تقرب زوجتك، أي لا تجمعها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ⁶).

أما القربان اصطلاحاً⁶: فهو اصطلاح ديني، وهو كل ما يقدمه الإنسان من الأشياء أو الأبناء أو الحيوان أو النبات هدية، يقدمها العبد لربه، بقصد التقرب من خلاله إلى الإله المعبود، وتعظيما له، لنيل رضاه، وتجنباً لأذاه، أو تعبيراً عن الشكر والاعتراف بفضل الإله عليه.

والقربان من أهم الشعائر الدينية التي يستخدمها الإنسان، لتجنب أذى الطبيعة، فهو مؤمن بأن الزلازل والبراكين والرياح العاتية مقصودة، وليست بمحض الصدفة، فبدأ بعبادة كل ما هو ضار أو نافع من القوى الطبيعية كالشمس والقمر، وبقية الأجرام السماوية⁷، وأصبحت آلهة له، يقدم لها القرابين، ليتقرب منها ما استطاع سبيلاً.

¹ سورة الأنبياء، آية 109.

² سورة النساء، آية 7.

³ سورة الواقعة، 89.

⁴ سورة الأعراف، آية 19.

⁵ سورة البقرة، آية 222.

⁶ الهاشمي، طه: تاريخ الأديان وفلسفتها، ط1، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1963م، ص220.

⁷ القمني، سيد محمد: الأسطورة والتراث، ط2، القاهرة، سينا للنشر، 1993م، ص99.

المبحث الأول

القربان في موروث الأمم القديمة

الحضارة الإنسانية ضاربة في القدم، والقربان يلزم الجانب الديني منها، بل تأخذ الحضارة ميزتها عن غيرها بالقربان والدين، والمتتبع للحضارات يشير إلى أولوية الحضارة النيوليتية¹، وفيها انتقل الإنسان تدريجياً من مرحلة صيد الحيوانات إلى تدجينها²، ومارس العبادة والكهانة³، وبنى المعابد على أساس المعتقد الزراعي، وأخذ يقدم القرابين للإلهة الواحدة (الأرض/ عشتار)، وهي الأم الكبرى والأنوثة الكبرى، المعبودة روحياً مهماً اختلفت أسماؤها⁴.

والحديث عن القربان هو الحديث عن عشتار، والحديث عن عشتار هو الحديث عن القربان، فطقوس تقديم القرابين كلها مورست حول عشتار، ومن أجل عشتار التي بنت بروحها الهيكلية الأولى للحضارة الإنسانية الأولى، وهذا ما أكدّه الأستاذ فراس السّواح، في قوله⁵: "البحث عنها بحث عن الأسطورة الأولى والديانة المركزية الأولى".

وتنتقل عشتار في قلوب النيوليتيين إلى جزيرة كريت، وتظلّ الإلهة الأولى المعبودة، ولها تقدّم العذارى طقوس الجنس قبل أن تقدّم للأزواج "طقوس البغاء المقدّس في بابل"⁶، وتحت كنفها ورعايتها تقدّم القرابين جميعها⁷.

¹ الحضارة النيوليتية: الحضارة الزراعية (4500 ق.م - 8500 ق.م)، وقد تحول الإنسان من القبوع في الكهوف إلى الزراعة، وأحدث ما يسمى بالثورة الزراعية.

² السّواح، فراس: لغز عشتار الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، قبرس: سومر للدراسات والنشر والتوزيع، 1985م، ص17.

³ المرجع نفسه، ص20.

⁴ عشتار هي (نمو) أو (إنانا) عند السومريين، و(إستير) العبرية في أسفار العهد القديم، و(إيزيس) عند المصريين، و(عناة) عند الكنعانيين، و(ديمتر) عند الإغريق، (ميليتا) عند الآشوريين، و(اللات) و(الغزي) عند العرب.

ينظر: السّواح، فراس: لغز عشتار، ص 27.

⁵ المرجع نفسه، ص28.

⁶ المرجع نفسه، ص40.

⁷ باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين)، ط2، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م، ج1، ص68.

والحضارة السومرية عريقة جداً؛ فقد وُجد في مواقع دِيالي الأثرية أختام أسطوانية، رسمت عليها أشكال الزواج الإلهي المقدّس، وطقوس الولائم¹. وقد بالغ السومريون في تقديم القرابين لآلهتهم لاعتقادهم أن الإنسان خلق خدمة للآلهة، وقد خلّقه من طين على يديها، وأسبغت عليه شكلها وصورتها، ويظهر ذلك بجلاء في خطاب موجّه من الإله (إنكي) إلى الإلهة (نمو) حول خلق الإنسان:

" يا أمي، إنّ الكائن الذي قد نطقت باسمه قد وُجد

فاسبغي عليه صورة الآلهة

امزجي قلب الطين الكائن فوق اللّجة

وسيقوم المصمّمون الطيّبون النبلاء بتكثيف الطين

أنت، اجعلي الأعضاء تبرز للوجود

وستقوم (ننماخ) بالعمل بعدك

الإلاهات.... سيقفن إلى جانبك عندما تقومين بالصياغة

يا أمي، عيني سمته

(وننماخ) ستسبغ عليه شكل الآلهة

إنه إنسان²"

لم يكن بمقدور الإنسان أن يبخل على آلهته بالعطايا والقرابين، سيّما أن أحداً لم يكن يشك في أن الآلهة تحافظ على نظام الكون السائد.

كما اعتقد أنّ هذه القرابين المقدّمة أعداء الإله، تقتل لإرضائه³، ولهذا نحروا الأسرى الذين تمكنوا منهم في المعارك والحروب، وكذلك نحروا الأسيرات.

فكرة القرابين فكرة طبيعية، والإله سيّد، له من عبده العطايا والهدايا، يحاولون بها نيل رضاه، وتجنب غضبه الذي يجرّ الويلات والنكبات⁴.

¹ المرجع نفسه، ص 259.

² الحوراني، يوسف: البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، بيروت: دار النهار للنشر، 1978م، ص 134.

³ الماجدي، خزل: الدين المصري، ط 1، الأردن: الشروق للدعاية والإعلان والتسويق، 1995م، ص 233.

⁴ كونتو، ج: الحضارة الفينيقية، ترجمة د. عبد الهادي شعيرة، مراجعة د. طه حسين، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م، ص 159.

ولهذا تقرّب الإنسان القديم من آلهته بأفضل شيء يملكه في الحياة، وهو دم ابنه البكر¹ الذي يعدّه قربانا بشريا، ومع ولادة الحضارة الإنسانية، وتطور المجتمعات، وتطور العقل البشري أصبح الإنسان يقدّم الحيوانات قربانا للآلهة؛ فداءً للابن الأول، لكن بقي شرط الآلهة على حاله، وهو سيل دم القربان بكمية كبيرة على مذبح الآلهة، ثم تطورت المجتمعات خطوة، وأخذت تقدّم القرابين النباتية؛ لاعتقادها أن الآلهة تأكل من القربان، بل تعدّى الأمر إلى مشاركة العبد ربّه مشاركة حقيقية في الأكل والشرب، ولذلك بدأ ببسط الطعام وحرّقه فوق مذابح معابد الآلهة، وهذا ما وُجد على أختام إسطوانية اكتشفت في سوريا، تصوّر العبد مع ربه، يشربان سويا من وعاء واحد، بوساطة بوصيتين طويلتين، كما وُجدت نقوشات تمثل القربان بديلا عن الشخص المقدم عنه².

وإذا عدنا إلى الحضارة السومرية نجد أنّ أيديهم امتدت لسفك دم أبنائهم، لتنتشر دماؤهم في معابد الآلهة، ولأداء وتغانيا لها، فقد قدّم السومريون أطفالهم قرايين؛ استرضاء للقوى الإلهية، وقد عُثر على بقايا هياكل لأطفال دفنوا في أوان فخارية³.

واعتقد السومريون أن نهاية حياة أطفالهم بداية حياة أخرى، ولذلك وجهوا رؤوس أطفالهم نحو الشمال⁴ في الإناء الفخاري الذي هو رمز الأم الكبرى، فشكّل الجرة الفخارية يشبه إلى حد ما شكل رحم الأم، فكان أطفالهم يعودون إلى رحم أمهم الأولى الأرض، وقد وُجدت هذه الجرار، في معبد منحوت في الصخر في بلدة تعنك قضاء مدينة جنين في فلسطين⁵.

واعتقد البابليون أنّ للقرايين دورا في إطالة العمر، فأخذ البابليّ وجود بما يملك على آلهته، وعادة ما كان قربانه مكوّنًا من طعام، مثل الخبز والماء، والخمر، ونبذ السمسم، ومزيج من العسل والزبد ثم الملح، وعندما يذبح القربان يتقبل الإله نصيبه منه (القديد، والكليتان، والفخذ الأيمن)، وفي معظم الأحيان يأخذون الجدي والحمل قرايين؛ لتمثيلهم الجيد لحقيقة المقرب⁶:

¹ معظم الأديان السماوية تحت على التبرع ببواكير الأشياء، حتى في ديننا الحنيف.

² كونتو، ج: الحضارة الفينيقية، ترجمة د. عبد الهادي شعيرة، مراجعة د. طه حسين، (د.ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م، ص164.

³ الشيخ، حسين: اليونان، (د.ط)، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، (د.ت)، ص199.

⁴ المرجع نفسه، ص199.

⁵ فريزر، جيمس: الفلكلور في العهد القديم، ترجمة نبيلة إبراهيم، (د.ط)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م، ص252.

⁶ ديلا بورت، ل: بلاد ما بين النهرين (الحضارات البابلية والأشورية)، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، ص195.

" الحمل فداء للبشر

لقد قدّم حملاً بدلاً من حياته

لقد قدّم رأس الحمل بدلاً من رأس الإنسان

لقد قدّم عنق الحمل بدلاً من عنق الإنسان

لقد قدّم صدر الحمل بدلاً من صدر الإنسان"

وفي مصر القديمة نجد المصريين أغرقوا أنفسهم بتقديم القرابين البشرية لآلهة النبات¹؛ خصوبة للأرض ووفرة للمحصول، كما كانت تقدّم لنبات الذرة²، والشيء نفسه نجده في المكسيك حتى العهد القريب، كانوا يقيمون احتفالات سنوية في شهر أيلول، ويقدمون القرбан البشري لإله الذرة، ففي هذا العيد، يختارون طفلة صغيرة، تكون غاية في الجمال، يلبسونها زي إله الذرة، ويضعون على شعرها حزمة من الريش الملون، ويحيطون عنقها، بعقد أكواز الذرة والبارود ومن كل الأنواع، زينة لها، ثم يحملونها في موكب حافل إلى المعبد.

هناك تنزل الفتاة الجميلة، فيأتي إليها أشرف القوم، والنبلاء في صف واحد، وقد حمل كل واحد وعاء فيه دم أخذه من جسده، فيسكبون ما في الوعاء تحت قدميها، فيبدأ كبير الكهنة بالأدعية والصلوات، وجميع الحضور يردد خلفه، وهم يندبون ويبيكون وينوحون، ثم يبسطون جسد الفتاة على كومة من حبات الذرة والبذور الأخرى، فيتقدّم كبير الكهنة ويقطع رأسها، ومن ثم يقوم برش دمها على تمثال إله الذرة، وبعد ذلك يتم استئصال جلد الفتاة عن جسمها، ويأخذ أحد الكهنة، محاولاً

¹ كان الإنسان القديم ينظر إلى الكون وما يضم من ظواهر ومواد ذوات كذواتنا، ولكل ذات وجودها الخاص بها، حياة وإرادة، نجد هذا واضحاً في الخطاب الموجه للملح:

أيها الملك الطاهر المنبت

يا من جعلك الإله (إنليل) طعاماً للآلهة

فما من فائدة في الكون إلا وأنت حاضرها

ولا ينبعث بخور الإله أو ملك إلا وأنت عنصر من عناصره

حلّ عني قيود السحر وأغلاله

تلك القيود والأغلال التي أقعدتني عن العمل وجلبت لي الأرض

أمط عني السحر كي ألحّ بذكرك

كما ألحّ بذكر خالقي وأسبّح لك

انظر: عكاشة، ثروت: تاريخ الفن العراقي سومر وبابل وأشور، بيروت: مطبعة فينيقيا، ص 55-65.

² وافي، علي عبد الواحد: غرائب النظم والتقاليد والعادات، ص 90.

إدخال نفسه فيه قدر المستطاع، ثم يلبس ملابس الفتاة، ويلبس زينتها الكاملة، ويخرج من المعبد وسط أنغام الطبول والناس من حوله يتبعونه¹.

هذا الطقس يعدّ تمثيلاً لموت وبعث إلهة الذرة، فهي تموت من خلال الفتاة، وتبعث من خلال الكاهن، متأملين عودة حبيبات الذرة مرّة أخرى².

وكان المصريون القدماء يؤمنون بخيرية القربان البشري، فمن تقديمه للإله يحصلون على الخير والنماء والخصب، ولذلك كانوا يقدّمون للنيل الذي يعدّ من أكبر آلهتهم، أجمل بناتهم، وأشرفهن نسلاً؛ ليرضى عنهم، ويفيض، فيعمّ الخير والنماء في البلاد³. كما عرف في مصر القديمة أيضاً، البغاء المقدس، بوصفه نوعاً من أنواع القرابين المقدّمة للآلهة.

وفي الديانة الكنعانية عمدوا إلى القرابين البشرية في التقرب إلى الآلهة، حتى كان التقرب ببواكير أبنائهم عرفاً جارياً لديهم، فقد عثر في موقع (جازر) على هياكل أطفال وعظام في حالة بلاء، مدفونة تحت أسس المنازل⁴، إضافة إلى هيكل لفتاة، إلى جانب العديد من الهياكل في غرفة اسطوانية منحوتة في الصخر، قدموا ضحايا للآلهة⁵، وهم بذلك نهجوا نهج السومريين، إذ عثر على هياكل بشرية في "أور" في منطقة المقابر الجنوبية من الإله (إنانا) السومرية، يتراوح عددها زهاء الأربع والسبعين شخصاً، قدّموا في طقوس مقدسة⁶.

وعرف الهنود القرابين البشرية، فكانوا يقدمون رجلاً في موعد البذار؛ ليسيل دمه على الأرض ويخصبها، وفيما بعد خفتت الصورة بعض الشيء، فاكتفوا بذبح الحيوان قرباناً، حتى إذا جاء وقت الحصاد فسّروه بأنه بعث للرجل الذي مات ضحية⁷.

¹ السواح، فراس: لغز عشتار، ص230.

² هذا الطقس يشبه إلى حدّ كبير الأغنية الشعبية (بكرة العيد وبنعيد) في يومنا هذا. انظر: الديك: إحسان: النماذج البدئية في الأغنية الشعبية الفلسطينية، أغنية (بكرة العيد وبنعيد) نموذجاً، مجلة جامعة النجاح للأبحاث/ العلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين، م24، ع7، تموز، 2010م.

³ وافي، علي عبد الواحد: غرائب النظم والتقاليد والعادات، مصر: مكتبة نهضة مصر بالفجلة، ص90.

⁴ مهران، محمد بيومي: الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، 2008م، ص91.

⁵ الديك، إحسان: النماذج البدئية في الأغنية الشعبية الفلسطينية، مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث، 2010م، ص38.

⁶ الماجدي، خزل: متون سومر، التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م ص320.

⁷ ديو رانت، ول: قصة الحضارة، (د،ط)، مجلد 1، (د،ت)، ص113.

أما قبائل الهنود الحمر فكان بعضها يقدّم امرأة ذبيحة لإلهة النبات، وكانوا يقطعون جثة المرأة إلى قطع، ثم يحملونها ليلطخوا بدمها أدوات العمل الزراعي، ثم يلقون أجزاء جسمها في أنحاء الحقل المبذور؛ بغية جمع محصول وفير¹.

وكانت قبائل هنود البيرو تقيم كل أربع سنوات طقساً يدعى (القربان العظيم)، يذبحون فيه أطفالاً في سن العاشرة، يحضرون من شتى أنحاء الإمبراطورية إلى معبد العاصمة حيث يؤدى الطقس².

وفي الهند أيضاً تضحى الأم بابنها حسب طقوس معينة شفاء للقمر، وباستحمام المرأة فوق جسم ابنها، تحصل على اتحادها بروح طفلها، أو بالماء الذي غسلت فيه الضحبة³. كما كانوا يكرّسون -الهنود- فتياتهم لخدمة الآلهة، وعادة ما تكون الفتاة المراد تكريسها بين السادسة والثامنة من العمر، وعريسها هو الإله الذي يرأس الهيكل، ويقوم كاهن المعبد مقام الإله العريس⁴.

وفي اليونان ساروا على سنة تقديم القرابين للآلهة، فكان لآلهتهم نصيب كبير من القرابين البشرية، وبخاصة الإله (زوس)؛ إذ كانوا يقدّمونها في القحط والمجاعة، والكوارث، والحروب ونحو ذلك، وكانت القرابين البشرية تُنتقى من أفراد الأسرات الأرستقراطية؛ أملاً في نيل الرحمة والمئة⁵.

وكانت لهم طقوس خاصة بهم، تقدّم فيها القرابين للآلهة، فيسكب دمها على أرض المعابد الموجودة داخل القصور، حيث تظهر فيها علامات مقدسة، مثل: الصليب، وأواني النور، والحلي⁶.

¹ البديل، م.ف: سحر الأساطير (دراسة في الأسطورة والتاريخ والحياة)، ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 2005م، ص89.

² المرجع نفسه، ص161.

³ فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م، ص80.

⁴ المرجع نفسه، ص55.

⁵ وافي، علي عبد الواحد: غرائب النظم والتقاليد والعادات، مصر: مكتبة نهضة مصر بالفجلة، ص83.

⁶ الماجدي، خزعل: المعتقدات الإغريقية، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م، ص83.

وقد قدّم ملك مؤاب (ميشا) البكر من أبنائه، فحرقه على مذبح الآلهة، طلباً للرضا من ربّه، وليفك الحصار المفروض على مدينته، كما قدّم سبعة آلاف من بني إسرائيل قربانين بشرية، شكراً للرب، واعترافاً بنعمته التي أسبغها عليه بأن استجاب له، وقبل دماء ابنه¹.

وعند الرومان، ظلّت عادة تقديم القربان البشرية سائدة، على الرغم من محاربة الدولة الرومانية لها، فقد أصدر مجلس الشيوخ الروماني سنة سبعة وتسعين قبل الميلاد قراراً يحرم تقديم القربان البشرية، ولكنّ هذا القرار لم ينفذ معقّلاتهم وقناعاتهم الدينية، وليس أدلّ على ذلك من تجديد مجلس الشيوخ لقرار التحريم، وزيادة عقوبة من يقدم هذا النوع من القربان².

وإذا نظرنا إلى بعض العادات والعبادات التي مارسها الشعوب في العصور القريية، نجدها نظائر لآثار بدائية تضمّنها العهد القديم مثل التضحية بالابن الأول، وعادة تقديم ذبيحة الخطيئة، وهي عادة عبرانية قديمة، تقدم الذبيحة قرباناً للآلهة؛ بغية التطهير من الخطايا والآثام التي تقترب دون إرادة وقصد³، وتُصنّف هذه الذبيحة إلى ثلاثة أصناف أو لها: ذبيحة الخطيئة عن رئيس الكهنة، وهذه تقدم ثوراً سليماً، يقربه الكاهن من باب خيمة الاجتماع، ويضع يده على رأس الثور، ويعترف بخطاياهم. وثانيها: ذبيحة الخطيئة عن الشعب، ويؤتى بالثور المضحي به إلى باب الخيمة، لكن لا يشترط أن يضع كل الشعب أيديهم على رأس الثور أو القربان، وإنما يكفي بوضع شيوخ الجماعة وكبارهم أيديهم على رأسه، ويعترفون بذنوب الشعب وخطاياهم، ثم يذبح الثور (القربان) عن خطايا الجماعة الإسرائيلية كلها. وثالثها: ذبيحة الخطيئة الفردية، وهذا النوع من القربان يقدمه إذا أخطأ شخص من عامة الشعب، فيكون عليه أن يذبح شاة ذبها طقسياً كذبيحة الخطيئة عن الشعب.

ونجد عند العبرانيين آلهة تقبل بالقربان الحيوانية، وترضى بها، فتغفر خطايا العباد، وآلهة حقودة لا ترضى إلا بالقربان البشري، ولا يزول غضبها بالقربان الحيواني، كالإله (يهوه) الذي لا يكفي بعقاب المخطئ وحده، وإنما يتابع انتقامه من ذرية المخطئ، ويذيقهم أشد أنواع العذاب، ويسخط عليهم، وسخطه هذا لا يهدأ إلا بالقربان البشرية التي تحرق على مذبح الآلهة، فيسعد

¹ السواح، فراس: لغز عشتار، ص78.

² وافي، علي عبد الواحد: غرائب النظم والتقاليد والعبادات، ص81.

³ الخوري، بولس الفغاري: المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم، بيروت، 2003م، ص554.

لرائحتها، ويرضى عن عبادته¹. كما أنّ هناك مذابح لا تخدم نارها، إذ يذكر الإصحاح السادس من سفر اللاويين أن رب إسرائيل فرض على اليهود أن يقدموا قربان يومية في الصباح والمساء². وكانت عادة تقديم الملوك قربان شائعة عند بني إسرائيل، فنجد في الكتاب المقدس، أنّ النبي داود (الملك) ذبح أولاد (الملك شاول) السبعة، على الصليبان للإله (يهوه)، ليستجيب الإله لهم، ويرفع عنهم القحط والجفاف، وينزل المطر، وقد استجاب الإله له، وتحققت غايته³. وهناك عادة دينية سنوية قديمة، لدى معظم شعوب الأرض، تقام زمن الاعتدال الربيعي، يقدم فيها للآلهة قربانا بشريا، هو رمز للإله الإنبات، فكانوا يضجون بصلب الملك، وبعد قتله، يأكلون جزءا من لحمه، وينثرون بعضا من دمه، تبركا به؛ ليكسبوا بعض قدسيته، ثم ينثرون بقايا لحمه وعظمه في مناطق مختلفة من الأرض المهيأة للزراع؛ لتخصبها⁴. وقد ربط الأقدمون بين نمو الزرع ودورة القمر من جهة، ودورة الشمس من جهة أخرى، وجعلوا من الأيام البارزة في دورتيهما، أيام قربانين، يقدمونها إلى آلهتهم التي تخرج الزرع وتدرّ والضرع، كما جعلوا أيام التقاء الدورتين في السماء علامة بداية دورة الملك الجديد في الأرض، الذي كان في اعتقادهم جزءا من القوى الكونية⁵.

ومن الآثار البابلية الشاهدة على قتل الملوك ما يجري في عيد (السّاقية)، ففي هذا اليوم المليء بالفرح، وعجائب العادات، يقتل الملك في اليوم الخامس وهو اليوم الأخير من هذا العيد، امتثالا لطقس القربان المقدّس، لكن مع تقدم الزمن، قام البابليون بخدعة متطورة، وهي استبدال السادة بالعبيد، ويلعب العبيد دور السادة، ويقوم السادة بخدمة العبيد، وكانوا في اليوم الأول يأتون بأحد السجناء المحكومين بالإعدام، فيلبسوه ملابس الملك، ويجلسوه على العرش، ويسمح له باتخاذ القرارات، وإصدار الأوامر، ويفعل ما يريد، فيأكل ما يشاء ويشرب الذي يريد، حتى إنه ينام على سرير الملك، ويحق له أن ينام مع نسائه، ولبس ثيابه؛ ذلك لإسباغ الشخصية الملكية عليه، ليكون

¹ السّواح، فراس: مغامرة العقل الأولى، ص138.

² اللاويين 12: 9-12.

³ الكتاب المقدس: سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 21.

⁴ المرجع نفسه، ص90-91.

⁵ عياد، شكري: البطل في الأدب والأسطورة، ص117.

بديلا حقيقيا عنه، ويظل حال العبد الملك كذلك إلى اليوم الخامس، آخر أيام العيد، عند ذلك تنزع عنه الثياب الملكية، ويقتل¹.

وقد استمرت عادة قتل الملوك إلى عصر قريب لدى قبائل (الشَّايْلوك)² في إفريقيا، فكانوا يقتلون ملكهم بعد سبع سنوات من حكمه، كفترة مقررة، أما إن أُجذبت أرضهم، وأصاب بلادهم القحط، قتلوه قبل فترته المقررة، وهو في حياته القصيرة هذه -السبع سنوات- يخضع لنظام صارم، كان قد فرضه عليه الكهنة المحيطون به، فلا يمكن لأحد رؤيته سوى النبلاء، إذ تعدّ شخصية الملك شخصية مقدسة، فلا يسمح لأي شخص بالدخول عليه، وإذا أراد الملك الخروج في جولة، أفرغت الطرق أمامه، وهرع الناس إلى بيوتهم، وأحاط به الأمراء، وكبار القادة في موكب رسمي مهيب³. وعندما يحلّ موعد القتل، كان كبير الكهنة يدعو جميع النبلاء إلى احتفال سري، ليحددوا موعد قتل الملك، وذلك بتجهيز كوخ يوضع فيه الملك على فخذ عذراء، ثم يغلق عليهما الكوخ، ويتركا بلا طعام ولا شراب، حتى يموتا اختناقاً وجوعاً⁴. ويتم هذا الاحتفال في إحدى الليالي المظلمة الواقعة بين غياب القمر القديم، وظهور القمر الجديد، وقبل أن تزرع البذور في الحقول، في أثناء فترة الجفاف السابقة لنزول الأمطار، وبعد مرور عام كامل على هذا الاحتفال يعيّن الملك الشاب الجديد⁵ ولهذا أصبح قتل الشعوب ملوكهم سنة، حتى تمسح خطاياهم، وتغفر ذنوبهم، ولينالوا رضا الإله، وبالتالي الخصب والنماء، والمحصول الوفير، ويرى وحيد السعفي أنّ هذا ما فعله بعض المسيحيين واليهود بالاتفاق مع رؤساء كهنة اليهود بسيدنا عيسى عليه السلام، إذ جعلوه إلهاً، أو ابن إله، وصلبوه وقتلوه، وقدموه قربانا بشريا للإله، فهو صلة العباد بإلههم، وهو يموت من أجل شعبه، يكفر عنهم خطاياهم، فهو سبيل الخلاص، وقد أطلقوا عليه اسم المسيح؛ لأنه سيمسح عنهم ذنوبهم،

¹ السواح، فراس: لغز عشتار، ص 314-319.

² الشَّايْلوك: هي القبائل التي تسكن ضفاف النيل الأزرق في إفريقيا.

³ السواح، فراس: لغز عشتار، ص 351.

⁴ عياد، شكري: البطل في الأدب والأساطير، ط2، دار المعرفة، 1971م، ص 114.

⁵ السواح، فراس: لغز عشتار، ص 315.

فقدموه قربانا في يوم عيد الفصح، هذا اليوم الذي لا يستقيم إلا بالذبائح والقربان، قدموه لينوب عنهم جميعا¹، وهم بذلك يشبهون اليونانيين في قرايين فدائهم.

ولمّا كان الملك إله لا يفنى-ينتقل من حياة إلى حياة جديدة- أخذ الشعب يدفن معه كل أتباعه المقربين وحاشيته، كزوجاته، وجيشه، وخدمه، والموسقيين وغيرهم، إضافة إلى ما يحتاجه من أدوات، وحيوانات كغذاء، يتغذى عليه هو وحاشيته، ولذلك أكثر الإنسان القديم من ذبح الحيوانات على القبور، وهي ما تسمى بالقرايين الحيوانية، فحسب اعتقاده أنها ستنتقل معهم إلى العالم الآخر، حيث يواصلون حياتهم، ليكونوا في العالم الأسفل كما كانوا على الأرض، ونستمد هذه الفكرة من النص الآتي:

"وحمل نمتار الذي لا أيدي له ولا

أرجل ولا يشرب ولا يأكل كلكامش إلى

العالم الأسفل، ودخل به وعائلته نحو

بوابة العالم أسفل، زوجه المحبوبة وابنه

الحبيب ومحظيته وموسيقياره، ونديمه

وحاجبه واتباع قصره وحارسه الحبيب

فرح الآلهة بمجيء كلكامش

وصار ملكا من ملوك العالم الأسفل

يمضي مع ملوك وآلهة العالم الأسفل⁽²⁾".

وهذا ما يفسر لنا في يومنا هذا وجود المال والكنوز، والذهب والفضة، والأواني والنواويس الحجرية³، والقوارب الصغيرة المملوءة بالأواني الفخارية المملوءة بالقرايين، في الجبال والكهوف التي كانت قبورا للقدماء؛ لاعتقادهم أن الميت إذا نهض من موته في العالم الأسفل استفاد منها⁴.

⁽¹⁾ ينظر: السعفي، وحيد: القربان في الجاهلية والإسلام، ص 127.

⁽²⁾ الماجدي، خزعل: متون سومر، الكتاب الأول، منشورات الأهلوية لعام 1998م، ط1، ص 203.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 326.

⁽⁴⁾ سليمان، مظهر: قصة الديانات، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م، ص 69.

وهناك نوع آخر من القرابين المقدمة للآلهة، وقد ظهر عند كثير من الشعوب القديمة الذين يدينون بالديانة الزراعية - كما أشرنا إلى ذلك - هو قربان البغاء المقدس، وهو ممارسة جنسية حقيقية كاملة، تقدّم المرأة خلالها أعزّ وأنفس ما تملك، كيف لا؟ وهو واجب ديني مطلوب من النساء كافة، تُكرس لمصدر الطاقة الكونية الإيجابية، وقد وصف فراس السواح هذه العملية بالأنهار التي تصدر من المحيط وإلى المحيط تعود¹. وكانت هذه القرابين تقدّم تكريماً للآلهة، لعلو مكانتها، ومركزها المتسامي في العديد من مناطق العالم التي انتشرت فيها عبادة الأم الكبرى.

والمنتبع لتاريخ الحضارات القديمة، يجد أن السومريين والبابليين والأشوريين وغيرهم، قدّموا البغايا في حرم المعابد؛ إقامة للطقوس الدينية في عبادة الآلهة، التي تهدف إلى اتحاد الإلهة بالإلهة، ويشترط عند بعض الشعوب كبابل مثلاً، أن تكون المرشحات للقيام بهذا الطقس فتيات عازبات، يذهبن إلى المعابد لتقديم بكارتهن لعشتار، ربّة الحبّ والجنس، وهي بدورها تتقبل بكارى عابداتها من العذارى².

ويلتزم بهذا الطقس النساء كافة، الثريات قبل الفقيرات، والجميلات قبل القبيحات، فهذا قربان الإلهة عشتار، وعلى المرأة أن تؤدي قربانها مرة واحدة في حياتها، بغض النظر عن الشريحة التي تنتمي إليها في المجتمع كما ذكرت، لكن قد نجد بعض النساء المنعمات الغنيات اللواتي يترفعن عن الاختلاط بسائر النساء لكبريائهن الناتج عن ثرائهن، هؤلاء يأتين في عربات مغلقة، ويجلسن في المعبد، ومن حولهن عدد كبير من الخدم والحاشية³، ينتظرن رجلاً ما؛ ليساعدهن في إتمام طقس عبادة الإلهة عشتار (الأم الحنون، ربة الحبّ والجنس)، وإذا دخلت المرأة في المعبد، وأخذت مجلسها، لا يسمح لها بالعودة إلى البيت، حتّى يأتي أحد الرجال، ويسمي باسم الإله عشتار⁴، ويلقي عليها قطعة من الفضة في حضنها، ثم يأخذها إلى الخارج، وبحسب قانون المعبد الذي وضعه الكهنة، لا يحق للمرأة أن تعترض أو ترفض، وإنما عليها أن تذهب مع أول رجل يلقي عليها قطعة الفضة؛

¹ السواح، فراس: لغز عشتار، ص 181.

² إبراهيم، نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج 3، ط3، مصر: دار المعارف، 1966م، ص 77.

³ نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1994م، ص 29.

⁴ المرجع نفسه، ص 30.

لتمارس معه الجنس المقدس خارج جدران المعبد¹، ولتفقد أو تتبرع ببيكرتها للإلهة عشتار، فترضى عنها، وترعاها من شرور الطبيعة، ولا تعود إلى بيتها، إلا بعد أن تؤدي طقس البغاء المقدس، ومن ثمّ يحقّ لها أن تختار الزوج الذي تريد الزواج منه، فهي قدّمت قربانها لعشتار ربّة العشق والجنس واللهو².

وتظل بعض النساء اللواتي لم يحالفهن الحظ بتقديم قرايبهن، جالسات في المعبد ينتظرن من يعطيهن القطعة الفضية، حتى لو طال بهن الزمان، فقد تصل مدة انتظارهن في المعبد ثلاث أو أربع سنوات³، وعليهن أن يضعن إكاليل على رؤسهن؛ رمزا للعذرية، ولعل عادة وضع الفتيات الإكاليل على رؤوسهن في ليلة زفافهن⁴ هي امتداد لطقوس عبادة عشتار (الأم الكبرى) في الحضارات القديمة، فهي عادات متأصلة متوارثة، موجودة في اللاوعي الإنساني.

ولعلّ سبب نشوء هذا الطقس، هو اعتقاد الإنسان أن عشتار الأم المخصبة الشبقة الولود المنجبة مانحة الحياة هي رمز الجنس الحر، لا الجنس الزوجي المقيد، وبذلك يكون الزواج انتهاكا لقانون عشتار سيّدة الجنس الحر، فكان لابدّ من التسوية بين النظامين واسترضاء الإلهة بإعطاء الحرية الجنسيّة للفتيات قبل الزواج وفرض الإخلاص الزوجي بعده⁵.

ونجد بعض الباحثين خالفوا هذا الرأي، ورأوا أن هذا القربان وُجد لمساعدة الأم الكبرى على زيادة قوة الخصوبة الكونية الإنجابية، ولمشاركة عشتار في التهتك الذي يرجى أن ينتقل إلى الأرض انتقالا قويا لا تقدر على مقاومته، ويضمن تكاثر الإنسان والحيوان والنبات باستمرار⁶، فهي الأم الكبرى، هي الرحم التي تضم بداخلها الإنسان في حياته ومماته، ولهذا اتخذت عند الإنسان مكانة عليا، فهي الربّة الكونية التي بفضلها أوجدت الإنسان والحيوان والنبات.

¹ حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبدالكريم رافق، بيروت: دار الثقافة، 1982م، ص132.
² تقول عشتار واصفة نفسها: "أنا العاهرة الحنون، وأنا من يدفع الرجل إلى المرأة، ويدفع المرأة إلى الرجل". ينظر لغز عشتار، ص181.

³ نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ص30.

⁴ مجموعة كبار الباحثين: موسوعة علم الأديان، ص128.

⁵ السواح، فراس: لغز عشتار، ص191.

⁶ إبراهيم، نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج3، ص77.

ونستدل على صدق قولنا، ما جاء على لسان أحد أنبياء الهنود، الذين يعتون نكش الأرض

خطيئة:

إنها خطيئة أن نجرح ونمزق أمانا المشتركة الأرض بأعمال زراعية

تريدون مني أن أركش الأرض؟

وهل أظعن أحشاء أمي بالخنجر؟¹

وللبغاء المقدس أنواع، فقد تكون ممارسات جنسية فردية، أو ممارسات جنسية جماعية، وكانت الأولى تقام عند موسم بذار الحبوب في الأرض، حتى تخصب الأرض، ويعمّ النماء، وتقوى الطاقة الكونية الإنمائية، مما يعود على الإنسان والحيوان والنبات بالغذاء، وقد قدمت مثل هذه القرابين قبائل (البانجادا) في إفريقيا الوسطى، حيث يقوم الزوجان اللذان أنجبا طفلين توأم بممارسة الجنس في حقلهم وحقل أقاربهم وأصدقائهم؛ قربانا للإلهة عشتار ربة الجنس والخصب والنماء، فتفيض أراضيهم بطاقتهم الإخصابية².

ونجد أيضا مثل هذه القرابين في بعض مناطق جزيرة (جاوا)، إذ يذهب الرجل وزوجته إلى حقل الأرز عند ابتداء نضج حباته، فيقدمان قرابين البغاء المقدس لآلهتهم، وذلك بممارسة الجنس في العراء، للإسراع في نمو الأرز³.

وفي أوكرانيا كان الناس يحضرون الأزواج الجدد، ويأخذونهم إلى الأراضي الزراعية المحروثة؛ ليتدحرجوا عليها، ويشحنون الحقل بطاقتهم الجنسية الإنجابية⁴، التي ما زالت في أوجها، وكل هذه العادات كانت تمثل قرابين البغاء المقدس المقدم للإلهة عشتار، التي بدورها تقوي وتزيد الطاقة الكونية الإنجابية.

¹ (نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ص36.

² (السواح، فراس: لغز عشتار، ص187.

³ (المرجع نفسه.

⁴ (نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ص 187.

وأما الثانية - الجنس الجماعي- فيقوم على أساس أن الأنثى لا تعرف رجلا واحدا¹؛ لأن ذلك بحسب اعتقادهم أفضل قربان يمكن تقديمه لإلهة الأم الكبرى ربة الجنس والعشق واللهو والحياة، فقد كانت كل النساء للرجال، وكل الرجال للنساء²، وهذا كان منتشرًا في كثير من بقاع غرب آسيا. ويرى (جيمس فريزر) أن الجنس الجماعي الذي مارسه النساء سابقا، لم يكن مجرد انغماس في الفسق الشهواني، وإنما كان واجبا دينيا خطيرا، يقام به خدمة للإلهة الأم العظمى، وقد عدّ محمد سيد قمني في هذه العبارة، إذ رأى أنه كان واجبا دينيا خطيرا، لكن هذه القرايين تقدم ليس خدمة للإلهة، وإنما تقربا للإلهة الأم العظمى³.

ولم يقتصر هذا النوع من القرايين على نوع معين من النساء، بل شمل النساء جميعهن بصرف النظر عن الغنى والفقر، ففي أرمينيا مثلا، كانت أشرف العائلات تسخر بناتها لخدمة الإلهة، إضافة إلى تكريسهن بغايا لمدة طويلة في المعابد قبل أن يتزوجن، بغية تحريض القوى الإخصابية في الأرض الأم، استنادا إلى مبدأ السحر التشاكلي، حيث الشبيه ينتج الشبيه.

ومع مرور الوقت، وتقدم الزمن، وتأكيد سيادة الذكور التي تتميز بالغيرة، حدث تطور في هذا النوع من القرايين، حيث أعفيت عامة النساء من تقديم بكارتهن، وصار البغاء المقدس في المعابد، مقتصرًا على طبقة خاصة من النساء ليقمن بهذا الطقس القرباني، فأصبحن ضحية وفداء لبقية النساء، وقد أطلق عليهن اسم (عشتاريات) نسبة إلى عشتار.

وقد حصل هؤلاء العشتاريات على مكانة خاصة وعالية في المجتمع، وكان هذا العمل يعدّ شرفا عظيما، فقد أصبحن كاهنات المعابد، ولا تحصل أي فتاة على هذه المكانة إلا إذا كانت من بنات العائلات المالكة والنبلاء⁴، وكانت الواحدة منهن تمثل دور الإلهة عشتار، فتضاجع الملك الذي يمثل دور الإله الأكبر، على سرير الإله، فتحقق الخصوبة ويعمّ الرخاء⁵، وذلك في عيد رأس

¹ القمني، سيد محمود: الأسطورة والتراث، ط2، مصر: سينا للنشر والتوزيع، 1993م، ص 114.

² المرجع نفسه، ص94.

³ المرجع نفسه، ص94.

⁴ عبد الواحد، فاضل: عشتار ومأساة تموز، د.ط، بغداد: وزارة الإعلام العراقية، 1973، ص158.

⁵ كريم، صموئيل: السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، الكويت: وكالة المطبوعات، (د،ت)،

ص 187.

السنة الجديدة (الاعتدال الربيعي)، وقت عودة عشتار أو زوجها من عالم الموتى السفلي لإخصاب الأرض.

أما عامة النساء، فكان لابد أن يقدمن لعشتار قربانا بديلا عن الجنس في المعابد مع رجل غريب، فلا بدّ من تضحية، لذلك وُجب على المرأة التي لا ترغب في تقديم جسمها للإلهة، أن تكتفي بقص شعرها بدلا من جسمها⁽¹⁾.

وكان للقرايين دور مهم في عمل السحرة، فسخروها في طقوسهم السحرية، خاصة في اجتماعاتهم مع عمدتهم، إذ يعمدون إلى ذبح القرايين الحيوانية، وينثرون دمها في الهواء، وكانوا يلطخون أجسادهم بدمائها، أسوة بما يقوم به عمدتهم، حيث يذبح طفل صغير، ويرش دمه عليهم، بغية تعميدهم، كما كانت الساحرات يكتبن العهد مع الشياطين بدم الحيض، ويكتبه السحرة من الرجال بدم القرايين⁽²⁾.

ومن الطقوس السحرية طقوس الشفاء من المرض، يمارسها الساحر لشفاء المريض من الشيطانة (المشتو)، وتبدأ بتطهير المكان أولا، بذبح ذبيحة على الأرض، ثم يأخذ شيئا من الطين - المخلوط بالدم - يصنع منه دمية تمثل الشيطانة (المشتو)، ثم توضع على رأس الرجل المريض⁽³⁾. ومن الطقوس السحرية أيضا طقوس الاستمطار، حيث يذبح الساحر الخنازير والأبقار بوصفها قرايين حيوانية، ذلك بعد أن يتجه الناس إلى بيت الكجور⁽⁴⁾، يقدمون إليه خنزيرا ضخما، ليذبحه، ويصفي دمه في وعاء، ثم يلمسه بإصبعه، ويمسح به عينيه ورقبته، ومناطق أخرى من جسمه، ثم يأخذ الإناء خارج الكوخ، وينثر الدم في الهواء تجاه السماء، مناشدا الإله أن يسقط عليهم المطر⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ص70.

⁽²⁾ كريم، سيد: السحر والسحرة عند قدماء المصريين، مجلة الهلال، ع1، يناير، 1975، ص62.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 203.

⁽⁴⁾ الكجور: أي صانع الأمطار.

⁽⁵⁾ إسماعيل، فاروق: الوثنية مفاهيم وممارسات، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1985، ص124.

ومن الطقوس السحرية كذلك، طقس طرد الأرواح الشريرة، ويطلق على السحرة في هذا الطقس اسم العزّامون⁽¹⁾، حيث يقوم هؤلاء بتلاوة التعويذات وترديدها في المعبد، أو في البيت المسكون بالأرواح الشريرة لطردها، وذلك بعد تطهير البيت، وذبح القرابين على عتبة البيت، كما لجأوا إلى صناعة الدمى من الشمع الشبيه بالمريض، ويتم دفنها في مقبرة مع دمية أخرى، تمثل الروح الشريرة، ويحتال على الروح الشريرة بتمويت المريض فتموت معه⁽²⁾.

ونلاحظ من خلال ما عرضناه سابقاً، أن الساحر يعتمد في عمله السحري على القرابين عامة، وعلى دم القرابين خاصة؛ ذلك لاعتقاده بأن التمايم لا تكتسب قوتها أو قدسيّتها العالية إلا من خلال ملامستها لدماء الأضحيات، البشرية أو الحيوانية، فهي لا تنحر إلا لنقل القوة المقدسة من دمائها إلى مادة التميمة⁽³⁾.

ونجد ما يؤكد هذا في بعض القبائل، إذ تذهب الفتاة إلى الساحر، كي تستمر حياتها مع زوجها، وألا يفكر بغيرها، فيطلب منها الساحر أن توخز إصبعها الصغير ليدها اليسرى بإبرة، وتمسح دمها شعر فتاها، وبذلك يتحقق ما تريد، أما المرأة العجورية في جنوبي المجر ورومانيا، فتوخز يدها اليسرى؛ لتحدث جرحاً بين السبابة والإبهام، ثم تصفي الدماء في وعاء صغير، ثم تدفن هذا الوعاء أسفل الشجرة مدة تسعة أيام، ثم تمزجه بلبين حمار، ثم تشرب الخليط قبل النوم، وتتلو رقية سحرية تدور حول أرواح ثلاث، الأولى تبحث عن الدم، والثانية تجده، والثالثة تشكله أو تصوغه في صورة طفل جميل⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ العزّامون: الكهان الذين يعملون على طرد الأرواح الشريرة.

⁽²⁾ الماجدي، خزعل: الدين السومري، ص154.

⁽³⁾ الماجدي، خزعل: بخور الآلهة، ص48.

⁽⁴⁾ إسماعيل،: الوثنية مفاهيم وممارسات، ص 124.

المبحث الثاني

القربان في الموروث الجاهلي

لكل أمة من الأمم القديمة عاداتها ومعتقداتها الدينية، الناتجة عن فكرها الداخلي، والمتعلقة بحالتها الذهنية تارة، وبيئتها المحيطة بها تارة أخرى، خاصة أن الجزيرة العربية تتمتع بموقع جغرافيّ وحضاريّ ودينيّ مهم في تسلسل الحضارات القديمة وارتباطها ببعضها بعضا حتى يومنا هذا. وقد جُبل الفكر العربي في الجاهلية على الحاجة الإنسانية والنفسية للأشياء في المعتقد والدين والحياة والتجارة، فطبيعة الحياة في الجاهلية جُبلت على التنافس في الدين بين بقعة وأخرى، أو بين قبيلة وأخرى، أو بين رجل وآخر، لكنّ أساس نشأة المعتقدات الدينية هو البحث عن الحاجة النفسية أولا، والحاجة المادية ثانيا.

ونهج العرب كغيرهم نهج الأمم السابقة في البحث على الإله، فعبدوا الأصنام⁽¹⁾، وبها استسقوا المطر واستنصروا على الأعداء، وفي هذا جاء في كتاب الأصنام أن " عمرو بن لحي" عندما استشفى في حمة الشام في البلقاء، وجدهم يعبدونها، فسألهم عنها، فقالوا: "نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو"، كما تمسّح العرب بالأصنام وقت السفر، لتحفظهم من الأذى⁽²⁾.

وأصنام العرب في الجاهلية كثيرة، أشهرها: اللات، والعزى، ومناة، وقد ذُكرت في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) ﴾⁽³⁾، ومنها أيضا: ودّ، وسواع، ويغوث، ونسر، وهبل، وإساف ونائلة⁽⁴⁾، ومناف، وذو الخلصة، وذو الكفين، وذو الشرى، والأقيصر، وسعد، ورُضاء، وباجر، والسجة، واليعبوب، وسُعير، وعائم، ونُهم، وريام، والفلس⁽⁵⁾، وأضاف آخرون: ياليل، والطاغوت، والمحرّق، ومنهب، والنصب، والهباء،

⁽¹⁾ ابن الكلبي: الأصنام، ص33.

⁽²⁾ يقول ابن الكلبي في كتابه الأصنام: "فكان الرجل، إذا سافر فنزل منزلا، أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها ربا". ينظر: المرجع نفسه، ص33.

⁽³⁾ سورة النجم، الآياتان 19، 20.

⁽⁴⁾ "إساف ونائلة": هما محبوبان من اليمن، قدما للكعبة، وضاجع إساف نائلة داخل الكعبة، فمسخا حجّرين، وأخرجا خارج الكعبة وقدسا وعيدا.

⁽⁵⁾ ابن الكلبي: الأصنام، ص100.

وذات الودع، وآزار، والأسحم، والأشهل، والإلاهة، وأوال، وبس، والشمس، وصداء، وصموداء، والضمار، وضيّزن، والكعبات، والمدان، ومرحب⁽¹⁾.

وقدّس الجاهليون هذه الأصنام، وعدّوها مثالا لآلهتهم، وأخذوا يحلفون بها في حياتهم اليومية لقدسيتها، فقالوا: " لا ورب البيت والحجر"⁽²⁾، وقالوا: "لا واللات والعزى"، لا ومناة، وقال عبد العزى بن وداعة المزني فيها⁽³⁾:

(الكامل)

إِنِّي حَلَفْتُ يَمِينَ صَدَقِ بَرَّةً بِمَنَاةٍ عِنْدَ مَحَلِّ آلِ الْخَزَرَجِ

ولمّا عبد الجاهليون الأصنام وقدسوها، قدّموا لها القرابين ، ولم تتبعد نظرهم إلى هذه القرابين عن نظرة الأمم الأخرى، فكان لزاما على الإنسان الجاهلي أن يتقرب زلفى إلى آلهته، بشتى الوسائل المعبرة عن معاني التقرب والتودد والتحبّب والتبجيل والتعظيم، خاصة وأنهم يعيشون في عصر تنبعث فيه الآلهة والأرواح في كل شيء حولهم، فأمنوا بقوة خفية كثيرة، في بعض الحيوانات والنباتات والجمادات كالحجارة، واعتقدوا جازمين أن لها قدرة تفوق قدرة الإنسان، فقدسوها وعبدوها، وحاولوا جاهدين استرضاءها والتقرب منها، بشتى الطرق والوسائل.

والقرابين وسائل تعبدية عند الجاهليين، حتى تحافظ آلهتهم من خلالها على مالهم وتجارتهم، وسيادتهم بين الشعوب، فقد كان العرب، وغير العرب كالهنود، والفرس، وبعض اليهود، والصابئة يتوافدون إلى الكعبة وما حولها من الأصنام، بغية الفوز بحفظ الآلهة ورعايتها؛ ولذلك كانوا يقدّمون

⁽¹⁾ عبد الغفار، أحمد أمين: الجاهلية قديما وحديثا، الكويت: شركة الشعاع، د.ت، ص57. وينظر: محمود، محمود عرفة: العرب قبل الإسلام، ط1، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995م، ص169. وقد ذكرها الله في كتابه الكريم، قال تعالى:

- ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، الشعراء، آية 71.
- ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُنُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ﴾، الأعراف، آية 138.
- ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾، الأنبياء، آية 57.
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَنْزِرْ أَتُخَذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾، الأنعام، آية 74.

⁽²⁾ النجيري، إبراهيم بن عبد الله: أيمان العرب في الجاهلية، حققه وعلق على حواشيه: محب الدين الخطيب، ط2، مصر: المطبعة السلطانية، 1962م، ص22.

⁽³⁾ ابن الكلبي: الأصنام، ص14.

الحيوانات قرابين عند الكعبة، ويذبحونها في وادي عرنة، ثم توزّع اللحوم على الناس أو الحجاج الوافدين ويأكلونها، وكان يشعر مقدّم القرابين بالفخر، ولمعرفته كان يضع قلادة من سيور الجلد أو أكناف الشجر في عنقه متباهيا بتقديمه القرابين للأصنام⁽¹⁾.

وقدّس الجاهليون "مناة" و "رئام" وبجانبيهما حلّقوا رؤوسهم؛ احتراماً وتقديساً لهما، ولهما عينوا السدنة⁽²⁾، وتسموا بأسمائها، وقد اختلقت أسماء العرب ما بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها، فاتخذت أسماؤهم، المركبة خاصة في الشمال طابعا دينيا، كعبد العزى، وعبد مناة، وعبد ود، ووهب اللات⁽³⁾، وفي الجنوب اتخذت أسماؤهم كذلك طابعا دينيا، فتسموا بأسماء الآلهة، شكرا لها وتقربا إليها، فكان الجاهلي يتوجه بالدعاء إلى الآلهة طلبا لما يحتاج إليه، وتغلبا على ما يواجهه من صعوبات الحياة، وكان ينذر إن أجاب الإله طلبه سمى أحد أولاده باسمه⁽⁴⁾.

وقد عظم الجاهليون أماكن الذبح التي تقدم فيه القرابين، ومنها "الغيب"، وقد ذكره أبو خراش الهذلي، وهو يهجو رجلا تزوج امرأة جميلة تدعى أسماء⁽⁵⁾:

(الطويل)

رَأَى قَدْعًا فِي عَيْنِهَا إِذْ يَسُوقُهَا إِلَى عَبَّابِ الْعُزَّى فَوَضَعَ فِي الْقَسَمِ

وهناك عدة أسباب لعبادة العرب الأصنام، فمنهم من اعتقد أنها الوساطة بين الإنسان وعبادة القوى الخارقة الأخرى⁽⁶⁾ فقدسوها وعبدوها وجعلوها قبلتهم، وبعضهم اعتقدوا أنها شياطين، والشياطين هي التي تقضي حوائجهم، وآخرون اعتقدوا أن الأصنام تمثل صور الموتى، وأنهم بعبادتهم لها إنما يعبدون الأموات، وقالوا: "كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوما صالحين"، وحينما حضرهم الموت طلب أحدهم من القوم صناعتهم مجردين من الروح والفعل⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ الخربوطلي، علي حسني: تاريخ الكعبة، ط3، بيروت: دار الجيل، 1991م، ص110.

⁽²⁾ السدنة: الخدم، ينظر اللسان مادة (سدن)

⁽³⁾ نيلسن، ديتلف: التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، 1958، ص179.

⁽⁴⁾ برو، توفيق: تاريخ العرب القديم، ط2، دمشق: دار الفكر، 1996، ص303.

⁽⁵⁾ مسعود، ميخائيل: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ص 118.

⁽⁶⁾ الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه وصححه وضبطه: محمد بهجت الأثري، ط2، مصر: المكتبة الأهلية (المطبعة الرحمانية)، 1924م، 197/2.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص212.

وكانت العرب عند تقديم القرابين أو العتائر يحرصون على طهارة الأشخاص، فلا يجوز لنجس الاقتراب من الأصنام، أو يدور حولها، خوفا من إصابتها بشيء من النجاسة في أثناء ذبح القرابين، فتغضب عليهم الآلهة، ولذلك كانوا يبعدون النساء الحائضات عنها، ولا يجوز لهن الاقتراب منها والتمسح بها، بل عليهن الوقوف في ناحية بعيدة عنها؛ حتى لا تصيبها بشيء من النجاسة، وقد ذكرت لفظة العتر في الشعر الجاهلي، فقال خُزاعي بن عبد نُهم⁽¹⁾:

(الطويل)

دَهَبْتُ إِلَى نُهْمٍ لِأَذْبَحَ عِنْدَهُ عَتِيرَةَ نُسْكِ، كَالَّذِي كُنْتُ أَفْعُلُ
وقال زهير بن أبي سلمى⁽²⁾:

(البيسيط)

فَزَلَّ عَنْهَا وَأَوْفَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ كَمَنْصَبِ الْعُتْرِ دَمَى رَأْسِهِ النَّسْكَ

ولم تكثف العرب بذبح العتائر للأصنام، بل وصل بهم الأمر إلى ذبح البشر قرابين بشرية لها، خاصة وأنهم اعتقدوا بأن الأصنام مصدر إلهام للنصر في الحروب، فذبحوا أسرى الحروب تقربا للعزيزى، وفدوها بالراهبات، كما فعل المنذر بن ماء السماء، الذي ضحى بأربعمئة راهبة للعزيزى، كن منتسكات في بعض أديرة العراق⁽³⁾. وكانوا يقدمون لها السيوف والقلائد، والحلي، والثياب، والنفائس، ولها عيّنوا السدنة والخدم⁽⁴⁾، كما حملوها إلى الحروب حتى تنصرهم على أعدائهم. وليس أدل على معرفة العرب القرابين البشرية من نذر عبد المطلب جدّ النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما قال: "لئن ولد لي عشرة أبناء، ثم شبّوا وأصبحوا بحيث يمنعونني لأنحرّن أحدهم عند الكعبة"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ابن الكلبي: الأصنام، ص 39.

⁽²⁾ زهير بن أبي سلمى: ديوانه، ص 144، صنعته: أبو العباس ثعلب، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004م، ص 144.

⁽³⁾ مسعود، ميخائيل: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ط 1، بيروت: دار العلم للملايين، 1994، ص 117.

⁽⁴⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 235/2.

⁽⁵⁾ محمود، محمود عرفة: العرب قبل الإسلام، ط 1، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995، ص 170.

كانوا يريقون دم القربان على الأنصاب ويضعون عليه اللحم، وهي موضوعة في الكعبة، وكانوا يلطخون الصنم الذي يذبح لأجله، بشيء من دم القربان؛ لاعتقادهم بأن الصنم يحس بدم القربان فوقه⁽¹⁾، ومن ثمّ ينتقل الدم الحار إلى الإله المعبود، الذي بدوره يكتفي به، ويرضى عنهم، ويزيل غضبه عليهم⁽²⁾، وبعد الانتهاء من طقس تقديم القربان، يقسم الكهنة لحوم الضحايا على الحاضرين، وقد قال في ذلك عمرو بن عبد الجن⁽³⁾:

(الطويل)

أَمَّا وَدِمَاءِ مَائِرَاتٍ تَخَالِهَا عَلَى قُنَّةِ الْعَزَى أَوْ النَّشْرِ عُنْدَمَا
لَقَدْ هَزَّ مَنِيَّ عَامِرٌ يَوْمَ لَعَلَّعٍ⁽⁴⁾ حُسَامًا، إِذَا لَأَقَى الضَّرِيبَةَ صَمَمًا

ويصف لنا الأعشى حال العبيد المقيمين عند هذه الأنصاب لأداء الفرائض الدينية، فيقول⁽⁵⁾:

(الكامل)

وَرَدْتُ عَلَى سَعْدِ بْنِ قَيْدٍ سِ نَاقَتِي، وَلَمَّا بَهَا
فَإِذَا عَبِيدٌ عَكَّفٌ، مَسَكٌ عَلَى أَنْصَابِهَا
وَجَمِيعٌ تَغْلَبَةُ بْنُ سَعْدٍ دِ، بَعْدُ، حَوْلَ قِبَابِهَا
وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَمَّ دَأَّ حَسَّهَا وَأَرَى بِهَا

ونستشف مدى تعظيم العرب لآلهتهم من قول خالد بن الوليد مخاطبا الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم): "يا رسول الله، الحمد لله، الذي أكرمنا بك، وأنقذنا بك من الهلكة، لقد كنت أرى أبي يأتي العزى بخير ماله من الإبل والغنم، فيذبحها للعزى ويقيم عندها ثلاثا، ثم ينصرف إلينا مسرورا"⁽⁶⁾. لقد كان لون الأصنام يميل إلى الحمرة، وهذا يدلّ على كثرة ذبح القرابين المقدمة لها، كما يدلّ على أن هناك عددا كبيرا من العرب يؤمن بهذا الطقس ويمارسه، بتقريب أفضل ما يملك.

⁽¹⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 61/4.

⁽²⁾ الحوت، سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط1، بيروت: مطبعة دار الكتاب، 1955م، ص151.

⁽³⁾ ينظر: لسان العرب، ج12، ص206.

⁽⁴⁾ يَوْمَ لَعَلَّعٍ: جبل كانت به وقعة.

⁽⁵⁾ الأعشى ميمون بن قيس: الديوان، (د.ط)، بيروت: دار صادر، (د.ت)، ص19.

⁽⁶⁾ بانجيكي، طاهر: قاموس الخرافات والأساطير، ط1، طرابلس: جروس برس، 1996م، ص163.

ونلمح في العصر الجاهلي بعض الإشارات التي تؤكد معرفة العرب قربان البغاء المقدس وطقوسه، فقد اشتهر عند العرب وبخاصة بالقرب من مكة، شجرة تدعى ذات أنواط، وهي شجرة ضخمة خضراء، كانت تأتي إليها قريش ومن سواهم من عرب الجزيرة العربية؛ لعبادتها، واسترضائها عن طريق تقديم القرابين إليها، وكانوا عندما يأتون هذه الشجرة، يعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً⁽¹⁾، وتضيف بعض كتب التاريخ⁽²⁾ أن العرب إذا حجّوا إليها علقوا أرديتهم عليها، ودخلوا الحرم عراة من غير أردية ولا أغطية، تعظيماً للبيت؛ ولذلك سميت ذات أنواط⁽³⁾.

إن التعري عند هذه الشجرة، وتعليق العرب ملابسهم عليها، وطوافهم بالبيت عراة، يدل على وجود عبادة الخصب والجنس عند العرب، وانتشارها في الجزيرة.

ولعادة العري في الطواف جذور قديمة مبنية على أسس عقدية، إذ اعتقدوا أنهم حينما يخلعون ملابسهم ويتجردون منها تتجرد معها الذنوب والخطايا والآثام التي ارتكبوها، وقالوا: " لا نطوف في الثياب التي فارقنا فيها الذنوب، ولا نطوف في ثياب عصينا الله فيها"⁽⁴⁾، وسميت الثياب المخلوعة بثياب اللقي، وقد قال ورقة بن نوفل فيها⁽⁵⁾:

كفى حَزناً كَرِي عليه كَأَنَّهُ لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيْمَ (الطويل)

وربما سميت هذه الثياب باللقى بسبب إلقاء الحجاج لها، فترك مكانها ولا يمسه أحد حتى تبلى، أو لأنها الثياب التي تلقى قبل الطواف، ويعود الحجاج ويلبسونها مرة أخرى بعد الطواف،

⁽¹⁾ الخطيب، محمد: الدين والأسطورة عند العرب، ص 82.

⁽²⁾ الفيومي، محمد إبراهيم: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط 1، بيروت: دار الجليل، 1999م، ص 436.

⁽³⁾ الفيومي، محمد إبراهيم: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ص 436.

⁽⁴⁾ الأزرق، محمد بن عبد الله أحمد: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج 1، ص 117.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 177. وينظر: عجيبة، محمد: موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، ط 1، بيروت: دار الفارابي، 1994م، ج 1، ص 247.

وهذا ما فعله "الحلة"، أمّا "الحُمس"⁽¹⁾، فيطوفون مصقّرين ومشبكين الأصابع⁽²⁾، وقد قال الشاعر المتقّب العبدى لعمر بن هند في طواف الحُجْن الصغار⁽³⁾:

(الوافر)

يَطِيفُ بِنُصْبِهِمْ حُجْنٌ صِغَارُ فَقَدْ كَادَتْ حَوَاجِبُهُمْ تَشِيبُ

وقد كانت المرأة كما الرجال تطوف عارية، ونستدل على ذلك من قصة "ضباعة بنت عامر بن صعصعة" التي طافت عريانة، إذ نزعَت ثيابها أمام باب البيت، ثم دخلته، وكانت على جمال خارق، فوضعت يدها على دُبرها والأخرى على فرجها، وأخذت تقول⁽⁴⁾:

(الرجز)

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

ومن الأدلة أيضا التي تؤكد تقديس العرب هذه الشجرة، وبلوغها مرتبة عالية في الجاهلية، ما روي عن الحارث بن مالك الليثي، وهو من الذين خرجوا مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين، أنهم رأوا سدره خضراء عظيمة، فصرخوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط! فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): الله أكبر! والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ الحُمس: هم أهل قريش، وكانت أهم سمة لحجهم الطواف بلباسهم، على عكس "الحلة" والتي من أهم سمات حجهم العربي عند الطواف.

⁽²⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص274.

⁽³⁾ المتقّب، العبدى: الديوان، حققه حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، 1971، ص261.

⁽⁴⁾ الأزرقى: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج1، ص178.

⁽⁵⁾ الترمذى، محمد بن عيسى أبو عيسى: سنن الترمذى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب الفتن، باب لتركين سنن من كان قبلكم، رقم الحديث: 2180، ج4/ص475.

وهذا يؤكد عبادة العرب ذات الأنواط، اعتمادا على الترسيبات الدينية الجاهلية الباقية في عقولهم ونفوسهم، فهم تعودوا على عبادة الأشياء المادية الملموسة، التي بعبادتها تقربهم إلى الله زلفى.

كما نجد ثمة علاقة بين طقس البغاء المقدس ووجود صنمي إساف ونائلة بجوار الكعبة في مكة، أي أقدس منطقة على الأرض، وإساف ونائلة هما محبوبان جاءا من اليمن إلى مكة؛ لتقديم قربانتهما، والفوز برضا إلهتهما (العزى)، فدخلتا فناء الكعبة وقدمتا قربانتهما، ولأنهما كانا شخصين صالحين، حولتهم الالهة العزى إلى صنمين، ليكونا صورة عنها، وسمّيا باسمهما، وأصبحا ممثلين عن إلهة العرب.

ومما يؤكد ذلك، وجود قصة إساف ونائلة في الروايات الإسلامية التي تقول: إن عمرو بن لحي الخزاعي أحضر (هبل) و(إساف) و(نائلة) من (هيت) على شاطئ الفرات فوق الأنبار من نواحي بغداد، ومن المعروف أن هذا المكان بالذات مرتع تفشت فيه عبادة الخصب وطقوس الجنس، ويذكر "القمني" أن العرب قدسوا من سموهم بنات الله، وكن تمثيلا للقوى المولدة في الطبيعة⁽¹⁾، كما تذكر الروايات الإسلامية بعض الاستفسارات الغريبة من المسلمين، مثل سؤال (أبي بصير) لأبي عبد الله عن مُحرم نظر إلى فرج امرأة في الحج حتى أمنى، فأجاب بأن عليه الفداء بأن يذبح هديا، وما جاء أيضا ما قاله عمر بن الخطاب من على المنبر إبان خلافته: "متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج، ومتعة النساء"⁽²⁾، لكن إذا راجعنا كتب التاريخ الإسلامي، نجد أن إسافا فجر بنائلة داخل فناء الكعبة، فغضب عليهما الله ومسحهما صنمين.

هذه الرواية تتوافق وحاجات النفس الإسلامية، التي تتعارض مع عقيدة الجاهليين الفاسدة، فتظهرهم فجرة، والحق إنه عمل جنسي مقدس، وأنهما كانا يمثلان عبادة جنسية سادت زمانا في الجزيرة العربية.

⁽¹⁾ القمني، سيد محمود: الأسطورة والتراث، ص 127.

⁽²⁾ ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، القاهرة: مؤسسة قرطبة، حديث رقم: 1495، 363/3.

وهناك دليل آخر يثبت معرفة العرب قربان البغاء المقدس، نستشفه من رواية إسلامية، تقول: إن آدم وحواء حينما غضب الله عليهما، وأمرهما بالهبوط إلى الأرض، هبطا متفرقين، وظلا هائمين حتى التقيا على جبل عرفة، وهناك عرف⁽¹⁾ آدم حواء، وهناك جامعها، ولذلك سمي هذا الجبل باسم عرفة.

ومن هنا جاء تقديس جبل عرفة، وكان الوقوف على جبل عرفة من أهم مناسك الحج الجاهلي، وهناك يجتمع آلاف الرجال والنساء الجاهليين، يبيتون جمعيا ليلا حتى الصباح، يؤدون طقوس الجنس المقدس، طلبا للغيث والخصب⁽²⁾.

ويلاحظ السيد القمني أن الجبل الذي التقى فيه آدم وحواء يُدعى جبل عرفة، فلماذا يطلق عليه الجميع جبل عرفات؟! ولا تعرف جبلا يجمع اسمه إلا عرفات! هذا يدل على أن الجمع ليس للجبل، وإنما الجمع هنا للمجتمعين على الجبل، الذين هم في حالة جماع أو عرفات، امتثالا للفعل الأول الذي قام به إساف عندما عرف نائلة، أو آدم عندما ضاجع حواء⁽³⁾.

ويتابع القمني "والاسم (ذات أنواط) هو أحد ألقاب الشمس التي عرفناها بالاسم (إلات) كإلهة أم، وفي ذلك ما يدعم علاقتهم بالخصب والجنس في نظر العرب. كما كان لمزدلفة كشعيرة حج - في الأصل- إلهة يدعى (قزح)، وهو إله برق ورعد ومطر"⁽⁴⁾.

كما يمكننا أن نستدلّ على ذلك من اسم المكان الذي يوجد فيه جبل عرفات، وهو بكة -حسب لهجات العرب- فاسم بكة يقودنا إلى معاني الجماع والتناسل، فإذا عدنا إلى جذرها، نجد: بكّ الرجل المرأة أي جهدها في الجماع⁽⁵⁾، وما يؤكد أن بكة اشتقت من الجماع، الرأي القائل: "إن مكة اسم المدينة، وبكة اسم البيت"⁽⁶⁾ الذي جمع إسافا ونائلة. كل هذه الإشارات ترجح انتشار هذه العبادة عند العرب.

⁽¹⁾ عرف آدم حواء: أي جامعها، والتوراة بشكل خاص تصرّ على استخدام لفظ عرف بمعنى جامع.

⁽²⁾ القمني، سيد محمود: الأسطورة والتراث، ص129.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص129.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص128.

⁽⁵⁾ ابن منظور: لسان العرب، (بكك).

⁽⁶⁾ الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص210.

القُربان وبناء المعابد والمذابح:

شكّلت المعابد عند مختلف الشعوب القديمة دورا مهما في مجالات الحياة الدينية وغيرها، ففيها يؤدون طقوسهم وإليها يحجون، وكانت المعابد عند العرب تبنى تقريبا، أو وفاء لنذور أو جوبوها على أنفسهم، وتخبّرنا النقوش العربية القديمة عن بعض الأشخاص الذين تقربوا من آلهتهم ببناء معابد كاملة، ففي أحد النقوش النبطية يذكر بناء المعابد النبطية، كبيت اللات الذي جعل لها بصلخد، والمعبد والمذبح الذي بناه (مالك) ملك الأنباط ما بين (40-75م) في صمة البردان إلى الجنوب الشرقي من صلخد، كما تكثر الكلمات المترادفة التي تشير إلى بناء المعابد في النقوش النبطية، وهي: بيتا، وبيرتا، وربعتا، وأربعنا، ومسجد، وبنينا⁽¹⁾.

ولمّا كانت عادة تقديم القرابين من الطقوس الدينية عند الشعوب، حرص الإنسان على بناء المذابح تقريبا من آلهتهم، وكان الجاهليون امتدادا لهذه الشعوب القديمة في فكرهم وفي عقيدتهم، فأخذوا يسوقون الحيوانات لذبحها قربانا للإله، وقد عرف الحيوان المعدّ للذبح باسم الذبيحة أو هديا أو قربانا أو قلائد⁽²⁾، وكانوا يطلقون على المذبح اسما آخر هو المنحر؛ لأنهم ينحرون فيه هبات الآلهة وهداياهم⁽³⁾، وحينما جاء الإسلام نهاهم عن الذبح بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى⁽⁴⁾. وقد خصّص الساميون والعرب أيضا أجزاء من معابدهم مذابح للقرابين، وتكون عبارة عن مصطبة، أو منصدة من الحجر أو الرخام أو من الفخّار، وتكون ذات فتحات لخروج الدم وسيلانه⁽⁵⁾، تقدم فيها طقوس تقديم القرابين.

⁽¹⁾ المعاني، سلطان عبد الله: التكريس عند العرب في النصوص النقشية العربية القديمة، مجلة المنارة، المجلد 4، العدد 1، 1999م، ص 28.

⁽²⁾ برو، توفيق: تاريخ العرب القديم، سوريا: دار الفكر، 1982م، ص 301.

⁽³⁾ ابن الكلبي: الأصنام، ص 20.

⁽⁴⁾ روى ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن رجلا نذر أن ينحر إبل ببوانه، فسأل النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ فقالوا: لا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أوف بنذر، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما يملك ابن آدم.

ينظر: آل الشيخ: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص 111-112.

⁽⁵⁾ الجرو، أسهمان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، مجلة دراسات يمنية، 1992م، العدد 48: ص 344.

وربما كانت فكرة المذابح الدينية تقوم على أساس الطّهارة، التي تكون بسفك الدّم، وتلطّيح جدران المذبح بدم الضحيّة، فكانت المذابح جزءاً من القرابين أيضاً، حيث يذكر أن العرب تبني المذابح تقرباً لآلهتها⁽¹⁾.

ونجد مثل هذا الأمر في التقليد التوراتي، حيث كان الكهّان يقومون بنضح الدم ورشه على جوانب المذبح⁽²⁾، وذلك من خلال الذبائح المعروفة لديهم، كذبائح السلامة والخطيئة ولإثم، وترد لفظة مذبح في التوراة، فنقرأ في سفر التكوين: "ولمّا بلغا الموضع الذي أشار إليه الله شيد إبراهيم مذبحاً هناك، ونضد الحطب، ثم أوثق اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب، ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه... وإذ تطلع إبراهيم حوله رأى خلفه كبشاً قد علق بفروع أشجار الغابة، فذهب وأحضره وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه"⁽³⁾، وفي معظم الأحيان كانت تبني المذابح في الأماكن العالية بين الأشجار، لتمارس فيها طقوس العبادة وتقديم القرابين والأضحيات والنذور.

القربان والمحرقة:

عرف العرب القدماء المحرقة كغيرهم من الشعوب السامية القديمة، وهي المكان الذي يتم فيه حرق القرابين سواء النباتية أو الحيوانية، فهي على نوعين: محرقة للذبائح وأخرى للبخور، أما الأولى فكانت تقوم على مبدأ إصعاد رائحة زكية إلى الآلهة لتفرح وتهلّل، ثم على حرق الخطايا التي ارتكبتها الشخص المقرب، وعلى الفوز برضا وقبول الآلهة، وأمّا الثانية فكانت تقوم على أساس طرد الأرواح الشريرة ونشر السكينة وتهيئ الأجواء لحضور الآلهة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ يذكر أحد النقوش التدمرية العائد إلى سنة 63م أن خيران بن عجيل بن آية بل من بني معزين قد بنى مذبحاً تقرباً للإله سيد السماء، و(لدرحلون) و(رحيم) و(جدا)، وقدّم آخر مذبحاً للإله (بل)، وقدّم مالك الملك النبطي مذبحاً لآلهته دون أن يحدد اسم إله معين.

ينظر: المعاني، سلطان عبد الله: التكريس عند العرب في النصوص النقشية العربية القديمة، ص32.

⁽²⁾ سفر اللاويين، الإصحاح الأول.

⁽³⁾ سفر التكوين، الإصحاح 22.

⁽⁴⁾ سيلفي كوفيل: قرابين الآلهة في مصر القديمة، ترجمة: سهير لطف الله، المطبعة: بى إتشرو، 2010، ص12.

والمحرقات كانت الشكل الأول للقرايين، مثلما فعل هابيل عندما قدم كبشاً من سمان أغنامه، ونوح عليه السلام بعد حادثة الطوفان واستقرار السفينة، حيث تذكر التوراة أن الله تعالى قد تنسم منها رائحة الرضا⁽¹⁾.

وكانت العرب تقدّم المباخر للمعابد للتقرّب من الآلهة والحصول على رضوانهم، وكانت لها أشكال مختلفة، فمنها أسطواني الشكل، وهو الشكل الغالب على أشكال المباخر، ومنها ذوات الشكل الجرسيّ، والقرنيّ، والدائريّ، كما كان لكل بيت مبخرة، تُعرف بمبخرة البيت، وكان بعض العرب يسمي المبخرة بمقطر، خاصة في العربية الجنوبية⁽²⁾.

القربان والاتحاد مع الإله:

تناولت الكتب القديمة أخبار القدماء ومروياتهم عن الحقبة الجاهلية، وذكرت طقس أكل الجاهلي إلهه، وقد توقف النقاد القدماء والمحدثون عن هذا الطقس، وعقبوا عليه بأن الجاهلي يلجأ إلى إلهه المصنوع تمرًا أو حيساً⁽³⁾، يتقرب منه بالقرايين، ويتودد إليه بالدعوات والصلوات، حتى إذا شعر بالجوع أكله، وفي ذلك يقول الشاعر⁽⁴⁾:

(مجزوء الكامل)

أَكَلْتُ حَنِيفَةً رَبِّهَا زَمَنَ التَّقَحُّمِ وَالْمَجَاعَةِ
لَمْ يَحْذَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ سُوءَ الْعَوَاقِبِ وَالتَّبَاعَةِ

ويقول رجل من بني تميم:

(الخفيف)

أَكَلْتُ رَبِّهَا حَنِيفَةً مِنْ جُوعٍ قَدِيمٍ بِهَا وَمِنْ إِغْوَازٍ

⁽¹⁾ سفر التكوين، الإصحاح الثامن، 18.

⁽²⁾ المعاني، سلطان عبد الله: التكريس عند العرب القدماء، ص35.

⁽³⁾ الحيس: هو تمر وأقط وسمن، تخلط وتعجن وتسوى كالثريد.

⁽⁴⁾ جواد، علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج13، ص39.

ورأى معظم الدارسين في ذلك منقصة، ومدعاة للسخرية، ومنهم من رأى في ذلك نهاية للوثنية، وبداية لظهور الإسلام، ويرى بعض النقاد المحدثين ومنهم الدكتور إبراهيم بن محمد الحقيّل، أنه نوع من الحرية الدينية والتعددية في الأديان⁽¹⁾.

والحق أنه نوع من أنواع القرايين النباتية، إذ يصنع من حبات التمر المقدسة إلها يشبه إلهه، فيعبده ويصلي له؛ لأنه يؤمن أن الشبيه ينتج شبيهه، وهو يسعى إلى أن يتماهى مع إلهه (وحدة الناسوت باللاهوت)، وهو بذلك ينقل قوة إلهه إليه، خاصة أن الإنسان الأول، آمن بأن قوة ما تنتقل إليه حينما يأكله⁽²⁾، وهذا ليس عند الجاهليّ فحسب، بل هي عادة سائدة في الثقافات القديمة، ففي المكسيك، كان يصنع تمثال الإله من الغلال والحبوب، ثم يُعجنُ بدماء صبيان يُقدّمون قرباناً لهذه الغاية، كبديلٍ دينيٍّ عن أكل الإله.

وكان العرب عندما يرزقون بطفل، يأخذونه إلى الكاهن لتحنيكه⁽³⁾، وذلك بمضغ التمر في فمه (الكاهن)، ثم وضعه في فم الطفل، وذلك بحنكه، حتى يتبلّغ الفم كله به، بغية انتقال بعض صفات الكاهن إلى الطفل المحنك⁽⁴⁾، وهذا يدل على أن الإنسان الجاهلي آمن بأنه يمكن اكتساب بعض صفات المقدسين وقوتهم، عن طريق الأكل أو الطعام، وهذا يثبت علم الجاهلي بما يصنع، لا كما يتهمة الآخرون.

فهل يعقل أن يكون الجاهلي إلى هذه الدرجة من السذاجة حتى يأكل إلهه؟ ألا يوجد عند الجاهلي طعام غير ذلك الحيس، الذي عمد فيه إلى صنع إلهه؟ ثم إذا كانت الوثنية جارت إلى الزوال، ما جعلهم يأكلون إلههم، لماذا لم يطرحوه أرضاً؟ ثم ما العلة لأخذهم التمر مادة لخلق الإله؟

القُرْبَان والموءودة:

⁽¹⁾ الحقيّل، إبراهيم بن محمد: لبرالية العرب في الجاهلية، مجلة الألوكة الشرعية، 2012م.

⁽²⁾ ديورانت، ول: قصة الحضارة، مجلد 1، ص115.

⁽³⁾ التحنيك: مضغ التمر ثم تدليكه بحنك الطفل، أي داخل فمه.

ينظر: اللسان، مادة (حنك)

⁽⁴⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص655.

الوَاد لغة النَّقْل، وسميت بالموءودة؛ لأنها تثقل بالتراب⁽¹⁾، وفي لسان العرب وتاج العروس، وأد الرجل ابنته إذا دفنها في القبر حية وأثقلها بالتراب⁽²⁾، وهذا ما أكدته لنا المفسرون في تفسير لفظة (الموءودة)، فقد ذكر الطبري أنها هي المدفونة حية⁽³⁾، وفي تفسير القرطبي⁽⁴⁾ أن الموءودة سميت بذلك، لما يطرح عليها من التراب فيؤدها، أي يثقلها حتى تموت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾⁽⁵⁾ أي لا يثقله.

أمّا في الاصطلاح فهو قتل الطفل ذكرا كان أو أنثى، سواء أكان بالدفن أو أي وسيلة أخرى، كإغراقه أو ذبحه أو إلقائه من شاهق⁽⁶⁾.

لقي موضوع الواد اهتماما كبيرا لدى كثير من العلماء والمفسرين والمؤرخين، وبخاصة أن القرآن الكريم تناول هذه الظاهرة بالتصريح تارة، وبالتلميح تارة أخرى، وأوضح تصريح لها ما جاء في الآيتين الكريمتين: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾⁽⁷⁾ فقد خلد الله تعالى هذه الظاهرة عن طريق الذكر لها في أكثر من مناسبة القرآن الكريم.

بعدها جاء دور المفسرين في تفسير الآيتين السابقتين والآيات المشابهة لها، وكان على رأسهم الطبري، الذي أخذ بظاهر النص ولم يتغلغل إلى ما ورائه، معتمدا في ذلك على ما صرح به القرآن الكريم، حيث قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾⁽⁸⁾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾⁽⁹⁾، ففسر هاتين الآيتين إلى عدم قتل أولادكم خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، إذ الله هو رازقكم وإياهم، وليس عليكم رزقهم، فتخافوا على أنفسكم من

⁽¹⁾ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي: الكامل في اللغة والأدب، بيروت: مكتبة المعارف، ج2، ص85.

⁽²⁾ ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (وَاد)، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج9، ص246.

⁽³⁾ الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م، ج24، ص248.

⁽⁴⁾ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، الرياض: دار عالم الكتب، 2003م، ج19، ص232.

⁽⁵⁾ سورة البقرة، آية 255.

⁽⁶⁾ الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، ص52.

⁽⁷⁾ سورة التكوين، آية 8-9.

⁽⁸⁾ سورة الإسراء، آية 31.

⁽⁹⁾ سورة الأنعام، آية 151.

العجز عن أرزاق أولادكم وأقواتهم، كما بيّن الطبري أن الإملاق: مصدر من قول القائل: أملت من الزاد، فأنا أملت إملاقاً، وذلك إذا فنى زاده وذهب ماله، وأفلس⁽¹⁾.

وأخذ الآخرون يخطون خُطَى الطبري، يصبون جلّ همهم على ظاهر النص، ولا يتجاوزونه إلى دراسة أعمق، فنجد تفسيراً لابن أبي حاتم يقول فيه: "أخبرنا موسى بن هارون الطوسي: كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته مخافة الفاقة عليها والسبي"⁽²⁾، كما عدّها المفسرون الذين اقتفوا أثر الطبري الأولاد كلمة عامة تشمل الذكور والإناث، وقالوا إن الجاهليين كانوا يقتلون أولادهم الإناث منهم والذكور خشية الفقر، والقتل هنا بمعنى الوأد، وعدوا الخوف من الفقر والفاقة أحد الأسباب وراء وأد البنات.

لقد ذكر القرآن سببا واحدا للوَأد، وهو الخوف من الفقر، ولم يذكر أسبابا أخرى وراء قتل الآباء أبناءهم، لكنّ المفسرين والمؤرخين لم يكتفوا بهذا الدليل، بل ذكروا أسبابا وأدلة أخرى، وأسهبوا في ذلك، منها الخوف من العار، والسبي، وذكروا مثالا على فعل قيس بن عاصم ومن اقتدى به من الجاهليين⁽³⁾، مستندين إلى ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (58) يَوَاكُم مِّنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْرٌ يُدْسُهُ فِي الشَّرَابِ ۚ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) ﴿⁽⁴⁾، وقد فسرها المفسرون بأن المبشر بولادة الأنثى منهم، كان يغمّ بذلك، فيتوارى عن أبصار قومه من الحزن والحياء والعار الذي يلحقه بسبب البنت، ويظلّ مهموما ومفكرا ومتريدا بين أن يُبقي البنت على قيد الحياة على ما في ذلك من هوان، أم يدسها في التراب حية فيئدها⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج12، ص217.

⁽²⁾ ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ، ج5، ص1415.

⁽³⁾ المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص84. والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص117. الألبشهي، محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، بغداد: المكتبة التجارية الكبرى، ج2، ص77.

⁽⁴⁾ سورة النحل، الآيتين 58-59.

⁽⁵⁾ الطبري: جامع البيان، ج14، ص124. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص116-117. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: تفسير الثعالبي، الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج2، ص33.

ومن هذه الأسباب أيضا، وجود نقص أو مرض أو قبح في المولودة الموءودة، كأن تكون كسحاء أو برشاء أو عرجاء أو زرقاء أو ما شابه ذلك، تشاؤما منهم بها، فهي صفات تشاءم الجاهليون منها، ورأوا فيها مصدر سوء في المستقبل، واستدلوا بذلك فيما روي عن سودة بنت زهرة القرشية الكاهنة، ولدت زرقاء، فأرسلها أبوها إلى الحجون⁽¹⁾ ليندأها هناك⁽²⁾.

كما جعلوا الحمية من أسباب الوأد، حيث قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾⁽³⁾، إن من الجاهليين من كان يقتل ولده سفها بغير حجة منهم في قتله، وهم قبيلتا ربيعة ومضر، كانتا تقتلان بناتها حمية⁽⁴⁾، ويروي مثالا على أن أمراً القيس كان مثنائا، لا يولد له الذكور، وكان شديد الغيرة على نسائه، فإذا ولدت له بنت قتلها، فلما رأى نساؤه ذلك، أخفين بناتهن في أحياء العرب، وحينما علم بذلك تتبعهن وقتلن⁽⁵⁾.

وبعد فيمكننا القول إنهم اعتمدوا على التصريح الوارد ذكره في القرآن الكريم، ولم يربطوا بين هذا الطقس والطقوس الدينية في الحضارات الإنسانية السابقة، فرجّحوا أسباب عملية الوأد إلى الفاقة والفقر والمرض والخوف من العار، ومن أن تسبى النساء وما شابه ذلك من دوافع. ولكننا نرى على الرغم من هذا الجهد الدؤوب المدّون في كتب التفسير⁽⁶⁾، وكتب التاريخ⁽⁷⁾، ما زال الغموض فيها، وهناك العديد من الأسئلة الغامضة التي لم تجب عليها، ولذلك سنحاول في هذا

⁽¹⁾ الحجون: هي مقبرة قريش في الجاهلية.

ينظر: الأزرقى: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص 271.

⁽²⁾ الألوسي: بلوغ الأرب، ج 3، ص 44. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج 5، ص 88-89.

⁽³⁾ سورة الأنعام، آية 6.

⁽⁴⁾ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 85.

⁽⁵⁾ ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي: أخبار النساء، شرح وتحقيق: د. نزار رضا، بيروت: منشورات مكتبة الحياة، ص 108-109.

⁽⁶⁾ ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوى، ط 3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1970م. والرازي، محمد بن عمر بن الحسن: مفاتيح الغيب، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1981م. والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتاب العربي، 2006م.

⁽⁷⁾ ينظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، القاهرة: دار الريان للتراث، 1988. والألوسي، أبو المعالي محمود شكري: بلوغ الأرب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1970. وعلي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 1971.

البحث الإجابة عن أسئلة هي: ما السبب خلف تعدد الأسباب المذكورة لوأد البنات؟ وهل هناك عامل آخر خلف عملية الوأد؟ وما العلاقة بين عملية الوأد هذه وعملية تقديم القرابين للآلهة؟ وهل كان الوأد على صلة بالمعتقدات الدينية؟

لقد كانت العادة عند الجاهليين إذا وُلد للرجل بنت فأراد أن يستحييها، ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها، حتى إذا كانت سداسية، فيقول لأُمها: طيبها وزينها، حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئرا في الصحراء، فيبلغ بها البئر، ويقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من ورائها ويهيل عليها، حتى تستوي البئر بالأرض⁽¹⁾، فإذا سلّمنا أن الأب يدفن ابنته بسبب الفاقة والفقر، فما الداعي إذن لبلوغ البنت السادسة من العمر أو بلوغ قامتها ستة أشبار؟ أليس من باب أولى أن يدفنها وقت ولادتها؟ ما الداعي لتربيتها؟ وما الهدف من تزينها وتطيّبها؟

إن قارئ الكتب التاريخية والتفسيرية لظاهرة وأد البنات، يفهم ضمنا أنّ العرب كانت تدسّ بناتها في التراب لا لذنب ارتكبه، وإنما كراهية منهم لها، كما أنّ العرب تقلل من شأن بناتهم، فتجعلهم في مستوى أدنى من مستوى الكلب عندهم، ونستدل على هذه النظرة من قول الطبري في كتابه: "كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه"⁽²⁾، علما أن الكلب عندهم يعدّ صورة للشياطين والجن⁽³⁾. إنّ المتتبع المتفحص لكتب التفسير، يرى ما خلّفه لنا المفسرون في الوأد هذا، وسيدرك أن بعض المفسرين لم يقتنعوا بهذه القراءة، إنما انتهجوا طرق تفسير تقتصر على ظاهر النص فقط، كما هي الحال عند الطبري ومن سار على خطاه.

والحقيقة أن هذه القراءة التي خلفها الطبري وتابعيه لم تستطع أن تقنع العلماء اللاحقين أمثال الزمخشري وأبي الفتح الرازي والآلوسي، ولم تلق عندهم صدرا رحبا، فراحوا يتتبعون ويتفحصون

⁽¹⁾ الزمخشري: الكشاف عن حائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص708. وينظر: الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ج31، ص66.

⁽²⁾ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، ط1، بيروت: دار المعرفة، 1987م، ج30، ص64.

⁽³⁾ الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى، بيروت: دار الألباب، ج2، (د.ت)، ص259.

ويتدبرون، وجاء الزمخشري بما لم يجئ به الأوائل، وعدّ عادة وأد البنات نتيجة علاقة الأجداد بالرب، فقال في تفسيره: "وكانوا يقولون: إنّ الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به، فهو أحقّ بهنّ"⁽¹⁾.

من هنا جاءت باكورة التغيير، ومن هنا تتغير نظرتك تجاه عادة الوأد، فلم يكن الوأد نتيجة بغض البنات أو خشية من الفقر فلا يستطيع الأب تقديم لقمة العيش لابنته ويموت جوعاً، أو خوفاً من لحاق العار به عن طريق بنته المولودة، بل كان بهدف التقرب إلى الإله المعبود، وهذا التقرب يكون عن طريق تقديم القرين، تقديم البنت قرباناً بشرياً إلى الرب.

ثمّ من المعروف أنّ الرجل مفطور على حب أولاده منذ أن خلق الله الخلق، إننا كانوا أم ذكورا، ويبقى يحافظ عليهم ويدافع عنهم بكل ما أوتي من قوة، فكيف يتناسى الأب الجاهلي رأفته ورحمته وعطفه، ليقتل طفلته في سبيل المحافظة على نفسه من فقر قد يحدث.

ثمّ إنّ المتخصّص للكتب التي أرخت للحقبة الجاهلية يجد أن وأد البنات لم يقتصر على الفقراء، وإنما كان الكثير من الأغنياء يئدون بناتهم، فنجد المهلهل بن ربيعة يأمر زوجته عندما ولدت له بنتاً أن تقتلها، فأشارت لخدمة عندها أن تخفيها عندها، ثم بدا له الأمر، فأمرها بإحسان تربيتها، فكبرت حتى تزوجت⁽²⁾، وهذا دليل قاطع على أن وأد البنات لم يكن سببه الفقر.

نحن لا ننكر وجود هذه الظاهرة عند العرب الجاهليين، لكنّ علينا أن نفرّق بين وأد البنات وقتل الأبناء، فالأخيرة كانت بسبب الفاقة والفقر، وهي موجودة حتّى يومنا هذا، ففي الهند مثلاً ونحن في القرن الواحد والعشرين يقتلون بناتهم لأسباب اقتصادية واجتماعية، وفي طليعتها الفقر والحاجة والعار، فيظطر الهندي إلى التخلص من ابنته لعجزه عن دفع نفقات "الدوطة" وهي ثمن تجهيزات ابنته من أجهزة وأثاث، التي يجب على أهل العروس تقديمها لعريس ابنتهم، أمّا عملية وأد البنات فهي نتيجة لوازع ديني شديد الصلة بالمعتقدات الوثنية عندهم، كما تكون الموءودة راضية غير مجبرة، فلم يكن الوأد نتيجة شراسة العرب وتوحشهم، وإنما هي سنة شبه الجزيرة العربية؛ بغية التقرب من آلهتهم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾⁽³⁾، نلاحظ من هاتين الآيتين

⁽¹⁾ الزمخشري: الكشاف، ج4، ص708.

⁽²⁾ الحوفي، أحمد: المرأة في الشعر الجاهلي، ص294.

⁽³⁾ سورة التكويد، الآيتين 8، 9.

أن الله سبحانه سيحاسب الموءودة، وسيسألها عن ذنب هي رضيت به، ألا وهو الوأد، فالموءودة كانت تعلم أنها ستوآد بالتراب، لذلك جعلت في الخطاب طرفاً مسؤولاً في عملية الوأد، فكانت تفعل ذلك لوازع الدين، وقد سئل المفسرون عن سبب سؤال القرآن الموءودة عن ذنبها، وكان أخرى بالسؤال أن يوجه إلى وائدها، فأجابوا بأن سؤالها وجوابها تكبّيت لقاتلها، أو سئلت بمعنى خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها⁽¹⁾، لكنهم لم ينفوا أن تكون الموءودة طرفاً في السؤال، فقد ورد في الحديث النبوي: " الوائد والموءودة في النار"⁽²⁾، فتّم الجمع بينهما وإشراكها في تحمل المسؤولية، وبهذا يكون الوأد طقساً من طقوس العرب الجاهليين.

أمّا تلميح القرآن الكريم لعملية الوأد، فنجد آيات ليست بالقليلة تشير لهذه الظاهرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾⁽³⁾، وفي قوله أيضاً: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾⁽⁴⁾، يمكننا أن ندرك من الآيات السابقة أنّ عقلية الإنسان الجاهلي جزء من عقلية الإنسان في الحضارات القديمة، إذ مزج بين صورة الأنثى وصورة الرب عندهم، فكانوا يعدّون كل أنثى بنتاً للرب، ومزجوا بين صورة الملائكة وصورة الإناث، بل عدوا الملائكة إناثاً، ويفسر الرازي سبب اعتقادهم بأن الملائكة إناث، أنها لما كانت مستترة عن العيون، شبهوها بالنساء، أي من ناحية الاستتار، وسموها البنات⁽⁵⁾.

وعدّوها بنت الله، لقوله تعالى: ﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾⁽⁶⁾، وقال تعالى أيضاً: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ تَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾⁽⁷⁾، ولم يربط الطبري بين فكر الإنسان الجاهلي وفكر ومعتقدات الإنسان في الحضارات السابقة، إذ فسر الآيتين السابقتين على أن الجاهليين جعلوا ملائكة الله إناثاً، جهلاً منهم بحق الله، وجراً منهم على قول الكذب

⁽¹⁾ ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، م16، ج31، ص64. وينظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، 188.

⁽²⁾ ابن حنبل، المسند: كتاب مسند المكّيين، حديث رقم15358. أبو داود: السنن، كتاب السنة، حديث رقم 4094.

⁽³⁾ سورة الزخرف، الآية 19.

⁽⁴⁾ سورة الصافات، الآية 150.

⁽⁵⁾ الرازي: مفاتيح الغيب، ج20، ص224.

⁽⁶⁾ سورة الزخرف، الآية 16.

⁽⁷⁾ سورة الإسراء، الآية 40.

والباطل⁽¹⁾، فاقترنت صورتهم بالقدسية وعبدوها، وهذا ما يؤكد الله في القرآن الكريم، فيقول: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (19) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾⁽²⁾، وكانت عبادتهم هذه بهدف التقرب من الله زلفى⁽³⁾، وقد ردَّ الله سبحانه عليهم في كتابه، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾.

ولذلك نحت الجاهليون من الصخور أصناما لتكون صورة عن الملائكة التي عدوها بنات الله، شأنها شأن الملائكة، فقدسوها وعبدوها؛ لتقريبهم إلى الله العزيز، وتشفع لهم عنده، فيقول الله سبحانه: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾⁽⁵⁾، واعتبروها إناثا ونصبوها بناتا للرب العظيم، فيقول الله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمِنَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾⁽⁶⁾، ولما كانت الأصنام بنات الله جعلوا أسماءها مشتقة من أسماء الله سبحانه، فسموا "اللات" اشتقاقا من اسم الله الذي هو الله، وسموا "العزى" اشتقاقا من اسم الله الذي هو العزيز⁽⁷⁾، وسموا "مناة" اشتقاقا من اسم الله الذي هو المنان، وعظموها فقدموا إليها القرابين والأضاحي والهدايا، وكرموا فسموا أبناءهم عبد اللات، وعبد العزى، عبد مناة، وزيد اللات، وزيد العزى، زيد مناة وتيم اللات... الخ⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، ج 25، ص 36.

⁽²⁾ سورة الزخرف، الآيتين 19، 20.

⁽³⁾ ينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ج 4، ص 1067.

⁽⁴⁾ سورة سبأ، الآيتين 40 - 41.

⁽⁵⁾ سورة الزمر، الآية 3.

⁽⁶⁾ سورة النجم، الآيات 19-22.

⁽⁷⁾ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، ج 5، ص 9.

⁽⁸⁾ ابن الكلبي: الأصنام، ص 13-19.

بعد هذا العرض المؤصل بفكر الشعوب القديمة، والمؤيد بكلام الله في كتابه، كيف لنا أن نقول: أنثى الجاهلية كانت مكروهة حقيرة؟ ألم تكن ذات منزلة سامية تصل إلى منزلة الآلهة، فقدسوها وعبدوها؟ ألم تكن العرب عند مجيء الإسلام لا تعرف من الآلهة إلا الإناث⁽¹⁾؟

الموودة القربان، دلائل ومؤشرات:

ثمة روابط مشتركة بين ظاهرة وأد البنات عند الجاهليين وقصص القربان البشرية التي قُدمت للآلهة في الحضارات الإنسانية السابقة، لذلك سنحاول تبیین هذه العلاقات المشتركة؛ لنبرهن أن الموودة هي قربان بشري لآلهة العرب، ومن ذلك:

1- الرضا بالوآد:

من خلال دراستنا للقربان البشرية وتتبعها عند مختلف الشعوب نلاحظ أن هناك سمة مشتركة للقربان البشرية هي رضا القربان بالقتل، فلا يصلح لأن يكون قربانا إلا إذا صادف الأمر منه موافقة وقبولا في كثير من الأحيان، وإذا أمعنا النظر بما فعله إسماعيل عليه السلام مع أبيه إبراهيم عليه السلام حينما أخبره بأنه قاتله⁽²⁾، نجد أن إسماعيل عليه السلام راضٍ بأن يكون قربان أبيه لله سبحانه، ولم يرفض ولم يسخط، بل قال له: يا أبي احكم وثاقي، واكفف ثيابك حتى لا تتلطح بالدم فتراه أمي، يا أبي واشد السكين جيدا واسرع في ذبحي فإن آلام الذبح شديدة، لقد أجاب إسماعيل عليه السلام أباه جوابا غاية في الطاعة، وهذا يعكس مدى قبوله للأمر ورضاه المطلق، وفي ذلك قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾⁽³⁾.

وتتقاطع قصة (إيفيجيني)⁽⁴⁾ ابنة (أغاممنون) ملك اليونان مع قصة إسماعيل عليه السلام بالرضا والقبول، فهي تحت والدها على تنفيذ الأمر فيها حينما أخبرها أن الربة تطلب دمها، وقامت تُظهر الحبور وتطلب من الناس الرقص حول المعبد الذي تسير إليه، إكبارا للربة وتقديرا لنبل مهمة

⁽¹⁾ يصف السعفي حال العرب عند مجيء الإسلام عليهم، فيقول: "حتى لكأنك لا ترى فيها إلها غير حسان ثلاث، يرفلن في الحرير ويغمرن بالعيون الحور؛ هذه اللات، وهذه العزى، وهذه مناة الثالثة الأخرى".

ينظر: السعفي: القربان في الجاهلية والإسلام، ص 40.

⁽²⁾ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُنِي أَمْرِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، الصافات، آية 102.

⁽³⁾ سورة الصافات، آية 102.

⁽⁴⁾ إيفيجيني: تمثل الفتاة الأنموذج لأنثى القربان، فهي عذراء جميلة، ومن بيت نبيل، بلغت الزواج فتقدم لخطبتها البطل "أخيل"، فطلبتها الآلهة قربانا، فرضيت اليونان بالأمر، ورضي أبوها "أغاممنون" ورضيت هي بذلك.

أبيها¹، وهذا يدلّ على مدى السرور الذي تملكها لتأديتها هذا الطقس، كما يدل على مطلق الرضا والقبول لتقديمها قربانا بشريا للآلهة.

وفي العصر الجاهلي نجد مثل هذه القصص التي تدلّ على رضا قربان القصص بالمصير، فهذا عبد المطلب بعد أن استجاب له الله ورزقه عشرة أولاد، جمع أبناءه وأخبرهم بالنذر الذي كان بينه وربه، وأن عليه الوفاء بالنذر، فاستجابوا له رغبة وطاعة منهم لأبيهم، ولم يكونوا مكرهين على ذلك، وأمرهم أن يأخذ كل واحد منهم قدحا ثم يكتب فيه اسمه، ويعودون به إليه، فأخذهم ودخل بهم على هُبل في جوف الكعبة، فضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذه أبوه بيده وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه²...، الشاهد من هذه القصة أن عبد الله كان طائعا خاضعا مستسلما، وممثلا لأمر القتل، وهو بذلك لم يخالف قصص القرابين البشرية السابقة.

ونجد أيضا عمر بن الخطاب في أيام الجاهلية، أخذ ابنته ليواربها في التراب، ولمّا بدأ بعملية وأداها أخذت تتبسم له، وتتفض الغبار وبقايا التراب العالق بلحيته³، من هذه القصة علينا التركيز على إشارتين رئيسيتين، أولاهما ابتسامة الفتاة لأبيها، وثانيهما إزالة التراب عن لحية أبيها وهو منشغل في حفر قبر لها؛ ليدفنها، ألا نستدل من هاتين الإشارتين أن الموعودة كانت راضية بوأدها؟

2- الاحتفاء بالقربان وتزيينه:

للقرابين البشرية عند مختلف الشعوب في العالم قوانين وطقوس ومراسيم خاصة، مثل إعداد الضحية بالزينة والزخرف، والباسها الحلي، وتجهيزها بجميل الملابس، وكأنها عروس في يوم زفافها، والناس حولها في احتفال وسرور⁴.

وفي العصر الجاهلي نجد الأمر نفسه، فقد كانت البنت المعدة للوأة تزين وتُلبس أجمل الثياب والحلي، ثم يُسار بها إلى أقاربها، وكأنها ستزف إلى بيت زوجها⁵، كما هو الحال في "ماساليا"

¹ السعفي، وحيد: القربان في الجاهلية والإسلام، ص34.

² ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، مصر: شركة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، 1970م، ج1، 174.

³ السعفي، وحيد: القربان في الجاهلية والإسلام، ص34.

⁴ السعفي، وحيد: القربان في الجاهلية والإسلام، ص26-27.

⁵ كانت العادة عند الجاهليين إذا وُلد للرجل بنت فأراد أن يستحبيها، ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها، حتى إذا كانت سداسية، فيقول لأُمها: طبيها وزينها، حتى أذهب بها إلى أحماها، وقد حفر لها بئرا في الصحراء، فيبلغ بها البئر، ويقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من ورائها ويهيل عليها، حتى تستوي البئر بالأرض.

في اليونان إذا كان الذي يُراد تقديمه قربانا للآلهة، يلبسونه حلية متبركة، ويطعمونه من بيت المال، ثم يزينوه بأغصان مقدسة ويلقونه من أعالي الصخور، ونلاحظ أن الزينة والاحتفال ومظاهر الفرح والسرور من الضروريات التي تصاحب الضحية إلى مثاها الأخير؛ لأنها تعبر عن الرضا والخضوع والامتثال لأوامر الآلهة، والاستجابة المطلقة بتقديم القربان، ورضاهم بذلك رضا تاما.

وقد أظهرت حفريات أم "تار" في "أبو ظبي" عن طريق المقابر الجماعية والمذابح العظيمة وكثرة المعابد، أنه كانت تقام مراسيم وطقوس واحتفالات خاصة حين التقرب من الآلهة⁽¹⁾.

3- القربان العذراء في الجاهلية:

لا تكون القرايين البشرية عند الشعوب على اختلافها إلا عذراء، خاصة وأن الآلهة جنس يُحسن الاختيار ولا يقبل بأنثى وقعت في نظر الشبان أو أرملة كانت أو عانسا، ولذلك كانت الشعوب تهدي الآلهة بناتهم اللواتي بلغن للتو، وأصبحن وقتئذ أهلا للزواج.

وهذا ما كان عند اليونان إذ قدموا "إيفينجي" العذراء ابنة ملكهم "أغاممنون" خير بنات اليونان، وفي مصر أطلقوا لقباً على الفتاة التي سيلقونها في النيل بعذراء النيل، فكان المصريون يختارون في كل سنة أحسن بناتهم وأوفرهنّ جمالا، ثم تقوم الفتاة بإلقاء نفسها في النيل وسط حضور جموع الناس واحتفالاتهم في يوم خاص من السنة حتى يفيض النيل ويستمر عطاؤه، وقد ذكر لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إلى عمر حين دخل شهر بؤونة فقالوا له: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها، فقال لهم وما ذاك؟ قالوا: كلما جاءت الثالثة عشر من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل، فقال لهم عمرو: هذا لا يكون في الإسلام وإن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا شهور بؤونة ومسرى النيل لا يجري كثيرا ولا قليلا حتى هموا بالجلء، فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - بذلك، فكتب إليه عمر بن الخطاب أن قد أصبت أن الإسلام يهدم

ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص708. وينظر: الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، ج31، ص66.

⁽¹⁾ بيومي، محمد مهران: بررسي تاريخي قصص قرآن، ترجمة: سيد محمد راستكو، تهران: شركة انتشارات علمي فرهنگي، ص149.

ما قبله وقد بعثت إليك ببطاقة فالحقها في النيل إذا أتاك كتابي، فلما قدم الكتاب على عمرو بن العاص فتح البطاقة فإذا فيها:

من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد الجبار أن يجريك، فألقى ابن العاص البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بشهر، وكان أهل مصر قد تهيأوا للخروج منها والجلأ لأنه لا يقوم بمصلحتهم إلا النيل وأصبحوا يوم الصليب، وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة واستراحوا من ضحاياه هذا العام وما بعده من أعوام⁽¹⁾.

وبنت العرب في الجاهلية لا تختلف عن نظيراتها في الأمم السابقة، فقد كانت فتاة عذراء، غاية في الجمال، يتنافس عليها الشبان، ونستدل على ذلك من قول أحد الصحابة لرسول (صلى الله عليه وسلم): "يا رسول الله، كنت من الذين يقتلون بناتهم، فوُلدت لي بنت فتركته حتى كبرت وأدركت وصارت من أجمل النساء فخطبوها، فدخلتني الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجه أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب بها إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقرائي فابعثها معي، فسُرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي، وأخذت عليّ المواثيق بألا أخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر، فنظرت في البئر ففطنت الجارية أنني أريد إلقاءها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول: يا أبت! أيش تريد أن تفعل بي! فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت عليّ الحمية، ثم ألزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا تضع أمانة أُمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر: يا أبت قتلتنني. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت." (2).

إننا نجد في الحديث السابق إشارة غاية في الأهمية، هي أن العرب الجاهليين لم ييخلوا على آلهتهم بالقرابين البشرية، ذلك وقت بلوغ ابنته، وحينما يجيء الخاطب لخطبتها، ودليل ذلك، أن

⁽¹⁾ عبد الحكم، عبد الحمين: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 871م، ص 203-204.

⁽²⁾ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص98.

زوجة الصحابي أخذت الموثيق على زوجها، وهذه إشارة واضحة إلى أن البنت حينما تبلغ وتمتلك مثل هذا الجمال تصبح أكثر عرضة للوَأد من غيرها.

4- فدية القربان:

في معظم قصص القربان في مختلف الحضارات والثقافات، تحلّ القربان الحيوانية بديلاً عن القربان البشرية، وهو ما يسمى بالفدية، حيث قال الله سبحانه: ﴿وَفِدْيَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾، وإذا عدنا إلى أشهر قصص القربان البشرية عند مختلف الشعوب وقارناها مع الموعودة عند الجاهليين نرى العجب، فهناك خصائص وسمات مشتركة لمعظم هذه القصص.

نرى في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل كيف تدخل الله عند لحظة الحسم، وافتداه بذبح عظيم، فحلّ القربان الحيواني محلّ القربان البشري.

وفي القصة اليونانية نجد الأمر نفسه، فبعد أن لبّت " إيفيجيني " نداء الآلهة، تدخلت الآلهة وافتدتها بقربان من جنس حيواني⁽²⁾.

والأمر نفسه نجده في الموعودة عند العرب الجاهليين، إذ كانوا يحيون الموعودات بافتدائهن بقربان حيواني هو الإبل، فقد رُوي عن جدّ الفرزدق، صعصعة بن ناجية المجاشعي أنه أتى إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله، عملت أعمالا في الجاهلية فهل لي فيها من أجر؟ فقال: وما عملت؟ فأخبره بخبر طويل مفاده أنه حضر ولادة امرأة، فإذا بامرأة عجوز تخرج من البيت، فقال لها صاحب البيت ماذا وضعت؟ فإن كان سقبا⁽³⁾ شاركنا في أموالنا، وإن كانت حائلا وأدناها، فقالت العجوز: وضعت أنثى. فقلت أتبيعها؟ قال: وهل تبيع العرب أولادها؟ فقلت: إنما أشتري حياتها ولا أشتري رقها فاشتريتها بناقتين عشاوين وجمل، وقد صارت لي سنة على أن أشتري كل موعودة بناقتين عشاوين وجمل، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومئتا موعودة قد أنقذتها،

⁽¹⁾ سورة الصافات، الآية 107.

⁽²⁾ السعفي، وحيد: القربان في الجاهلية والإسلام، ص 25.

⁽³⁾ السقّب: الذكر، والحيل: الأنثى.

فقال له (صلى الله عليه وسلم): لا ينفك ذلك لأنك لم تتبغ وجه الله تعالى، وإن تعمل في إسلامك عملاً صالحاً تُثب عليه¹.

وكانت العرب تقتخر بمثل هذا الصنيع، فنجد الفرزدق يفتخر بجده صعصعة ابن ناجية المجاشعي، الذي أحيا الموءودات بشرائهنّ من آبائهن، فيقول في ذلك²:

(المتقارب)

وَمِمَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدَ فَلَمْ يُوَادِّ
فقد كانت الموءودات يُقتدى بهن بالإبل، مثلها مثل كل القرابين البشرية.

ومن البيت السابق يمكننا استنتاج أنّ العرب لم تتد بناتها بدافع الفقر، ولو كان ذلك هو السبب، كان من باب أولى بيعهن والاستفادة من ثمنهن، فيتغلب على قسوة الحياة وظروفها كما يقولون، إضافة إلى عدم الإنفاق على بناتهم، بدلا من قتلها الذي لا يدرّ عليه مالا، لكنّ العرب لا تباع أولادها، وإنما افتدت بناتهنّ بإعطاء الفدية مقابل القران المقرر تقريبه إلى الآلهة، شأنها شأن كل القرابين البشرية، فضحيّ بالإبل بدلا من التضحية بالبنات.

وكانت القرابين البشرية في جملة الأشياء التي قدمها الإنسان نذراً إلى آلهته. وكان "عبد المطلب" كما يذكر أهل الأخبار قد نذر إن توافى له عشرة رهط أن ينحر أحدهم. فلما اكتمل العدد، قرر الوفاء بنذره، وذلك بذبح أحدهم. وإذ لم يكن قد عين الولد الذي سيذبحه، ذهب كعادة أهل مكة إلى هبل يستقسم عنده. فلما أصاب النصيب "عبد الله"، ذهب إلى "إساف" ونائلة، صنمَي قريش اللذين تتحر عندهما، ليذبحه، "فقامت إليه قريش من أنديتها: فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه. فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه، لأن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه. فما بقاء الناس على هذا؟". ثم سأله أن يذهب إلى عرافة كانت بالمدينة لها "تابع"؛ لترى رأيها في الموضوع وتفتي فيه، فلما ذهب إليها، وجدها بخير، فأشارت عليه أن يعود إلى مكة، ثم يضرب بالقداح على ابنه وعلى عشر من الإبل وهو مقدار الدية عندهم، فإن خرجت

¹ (التويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: دار الكتب المصرية، ج3، 1931م، ص126-127).

² (ابن حبيب، محمد بن حبيب: كتاب المحبر، تحقيق إيالة ليختن شتير، بيروت: دار الآفاق الجديدة، (ب. ت)، ص141. وينظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ج9، 1971م، ص246. وينظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص188).

القداح على عبد الله ضربوا القداح مرة أخرى، فإن خرجت القداح على عبد الله مرة أخرى، أعادوا الضرب حتى يقع على الإبل، فيكون الرب قد رضي عنه، فتتحرر الإبل عندئذ. فسمع نصيحته وفعل، ونحرت الإبل فدية عن ابنه "عبد الله"⁽¹⁾.

والظاهر أن عادة نحر الأبناء عند الكعبة قد بقيت حتى بعد دخول العرب في الإسلام، بدليل ما ورد عن نذر امرأة أن تتحرر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فجاءت إلى المدينة تستفتي علماءها في الأمر. فأشار عليها من استفتتهم بوجوب الوفاء بالنذر، ولكنهم ذكروا لها أن الله قد نهى عن قتل النفس، وذكروا لها قصة عبد المطلب المذكورة، فوجب عليها تقديم الفداء⁽²⁾.

5- تدخل الآلهة:

ثمة شيء مشترك في قصص القرابين البشرية، وهو تدخل الآلهة في إنقاذ الضحايا البشرية، وأن هذه الضحايا ستؤدي دورا مهما في حياة البشر، وسيكون لها مكانتها المرموقة بين أفراد المجتمع. ونستدل على ذلك من القصة التي تناثرت في كتب القدماء ومروياتهم عن الحقية الجاهلية، وهي قصة "سودة بنت زهرة بنت كلاب"، فحينما وُلدت، أمر والدها بوأدها فأرسلها إلى الحجون⁽³⁾ لتدفن هناك، ولما انتهى الحافر من الحفر وهمّ لدفنها، سمع هاتقا يسجع: لا تند الصبيّة، وخلّها البريّة، فأخذ الحافر يلتفت لما حوله، فلم ير شيئا، فعاد لدفنها، فسمع هاتقا يسجع بسجع آخر له المعنى نفسه، فعاد إلى والدها يخبره بما سمع، فقال: إن لها شأنا، وتركها فكانت كاهنة قريش⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، ج2، ص248.

⁽²⁾ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، ج2، ص24.

⁽³⁾ الحجون: جبل في مكة وهي مقبرة، وبمكة جبل يقال له أبو دلامة، كانت قريش تند فيه بناتها، وذكر أن هذا الجبل يطل على الحجون، وقيل كان الحجون هو الذي يقال له أبو دلامة.

وقد ذكره مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي في شعره، فأنشد:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجود العواثر

ينظر: جواد، علي: المفصل في تاريخ العرب، ج5، ص94. وينظر: منبه، وهب: كتاب التيجان في ملوك حمير، دمشق: دار العرب: دار نور حوران للدراسات والنشر والترجمة، 2014م، ص213.

⁽⁴⁾ الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، ص43-44.

يبدو لنا أنّ هذا طقس تقديم القرابين البشرية، وإلا من هو الحافر الذي أوكلت له هذه المهمة؟ ولماذا لم يدفن الوالد ابنته؟ ثمّ هب أنّ الفقر هو السبب وراء الوأد، فما العلة للذهاب إلى الحجون ولم تدفن في الصحراء؟

عند سماعنا هذه القصة يخطر في بال السامع أنّ الحافر الذي أوكلت له المهمة هو الكاهن نفسه، المسؤول عن تقديم القرابين وعن القيام بالفروض والعمليات المتعلقة بالدين عند سائر الشعوب، وما يثبت لنا أنه الكاهن، تصرفه عندما سمع الهاتف يسجع ب: "لا تتد الصبية وخلصها البرية"، ففهم الرسالة، وتراجع عن دفنها، وأيقن أنّ لها شأنًا عظيمًا عند قومها؛ لأنّ الآلهة لم تتشأ أن تكون قربانًا، فكأنّ هذه الحالة قد سبقتها حالات أخرى، فذهب بها إلى والدها وأخبره بما حدث، وأنّ سيكون لها شأن عظيم، فأحييت بهالة من المجد، وعدّت آية من آيات الله، ومعجزة من معجزاته الكثر⁽¹⁾، وهذه إشارة صريحة إلى أنّ عملية الوأد عملية مقدّسة.

واللافت للانتباه أنه عندما تتدخل الآلهة في إحياء القرّبان وإنقاذه من الموت المحتوم، يكون له مستقبل عظيم، ودور مهم في حياة الناس من بعد، فكأنّ الآلهة اختارته، وأودعت فيه من القدرات ما أودعت حتى يقوم بدوره على أتم وجه، وهذا ما كان مع "سودة بنت زهرة بنت كلاب" التي أصبحت كاهنة قريش، وكان لها نصيب من علم الغيب، فهي التي تنبأت بمولد النذير محمد (صلى الله عليه وسلم) إذ قالت لبني زهرة: "إنّ فيكم نذيرة أو تلد نذيرا فاعرضوا عليّ بناتكم، فعُرضن عليها، فقالت في كلّ واحدة منهنّ قولاً ظهر بعد حين حتى عُرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو ستلد نذيرا"⁽²⁾، وهو ما دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بني زهرة لولده عبد الله⁽³⁾، فهو سعى إلى تزويج خير نساء زهرة إلى خير رجال قريش، فكان ميلاد نور الإسلام، محمد (صلى الله عليه وسلم). والأمر نفسه نجده في قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، فبعد أن استعد لذبح ابنه تدخل الله سبحانه، وناداه أن يا إبراهيم، إنا فديناه بذبح عظيم، فالحمد لله سبحانه أعاد إسماعيل من موت محقق، فأسس إسماعيل لجنس بشري جديد.

⁽¹⁾ السعفي، وحيد: القرّبان في الجاهلية والإسلام، ص26.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص26.

⁽³⁾ الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ص44.

وفي القصة اليونانية نجد الآلهة تدخلت لإنقاذ حياة "إيفنجي" بعد أن استعدّ أبوها والناس من حولها لقتلها، فأصبحت حارسة معبد الرّبة "أرتميس" التي نجّتها¹.

¹ السعفي، وحيد: القربان في الجاهلية والإسلام، ص 26.

الفصل الثاني

أنواع القرايين في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: القرايين البشرية

المبحث الثاني: القرايين الحيوانية

المبحث الثالث: القرايين النباتية

المبحث الرابع: قرايين آخر

تأسيس (1):

ثمة اتفاق يُجمع عليه الباحثون، وهو أن الإنسان منذ نشأته عرف القرابين، وأخلص في تقديمها لآلهته، فكان لا يأكل من ثمار محاصيله قبل أن يقدم لها باكورة قطوفها، ولا ينتفع بحيوانه قبل أن يتقرب بأبكار نسله من أربابه، وتقانى في إخلاصه لها إلى أن امتدت فيه يداه إلى رقاب فلذات أكباد، لكن ما لم يتفقوا عليه هو مراحل تطور تقديم القرابين، أو أسبقية تقديم القرابين، فهل القرابين النباتية أسبق من القرابين البشرية؟ أم أن الأخيرة سبقت القرابين الحيوانية والنباتية؟

لخص القمني آراء الباحثين التي تدور حول موقفين¹، الأول: أن القرابين في بداية أمرها اقتصر على ثمار المحاصيل، ثم رأى الإنسان - زيادة في التقرب لآلهته - أن يذبح لها ماشيته، لظنه أن اللحم أعلى من النبات رتبة، ولما لم يكن بمقدوره أن يحمل قربانه ليذبحه عند عروش الآلهة، فقد عمد إلى ذبحه ثم حرقه لتتصاعد مادته دخانا، تشمه الآلهة فتهدأ نفوسها، وزيادة في المغالاة، وإثباتا لمدى إخلاصه لآلهته، تحول نحو الدماء البشرية، فأسال بعض دمائه بجروح مقصودة على مذابح الآلهة، تقربا وفداء لنفسه ولأولاده وممتلكاته، ثم تحول الأمر إلى النذور، فكان يذبح أحد أولاده لآلهته إن هي استجابت لطلبه في أمر يطلبه، أو درءا لشر محتمل الحدوث.

أما الموقف الثاني فهو نقيض الأول تماما، انسجما مع سنة تطور العقل البشري، فيرى أن البداية كانت للقرابين البشرية، عندما كان الإنسان لا يزال يصارع بدائياته الوحشية، وبالتدرج الارتقائي، وتطور الفكر تحول نحو الحيوان يستبدله بالإنسان، ليقدمه لآلهته مذبوحا أو محروقا؛ فداء لنفسه أو لعائلته أو لقبيلته أو لموطنه، وأحيانا يكتفي بتقديم النبات في حال احتياجه للحيوان.

لكننا نرى أن الإنسان عرف القرابين بأنواعها (البشرية والحيوانية والنباتية) في وقت واحد، وأنها كانت مشرعة، إننا لا ننكر تطور العقل البشري، لكن التطور الحاصل، تمثل في تقديم هذا القران دون غيره، فكانت الشعوب تميل إلى تقديم القرابين البشرية عندما كانت فكرتهم عن الإله أنه إله يحب الدم، ثم ابتعدوا عن الأخيرة، عندما تطورت فكرتهم عن الإله، فهو إله محبة وسلام، فذهبوا

¹ (القمني، سيد محمود: الأسطورة والتراث، ص75).

يميلون إلى القرابين الحيوانية، ولم يرتقوا إلى مستوى القرابين النباتية إلا بعد أن تخلصوا من الهيمنة الفكرية للكهنة عليهم.

تأسيس (2):

عرف الإنسان الجاهلي القرابين، لكن ثمة فرق بينه وبين الإنسان البدائي، فالأخير يقدم القرابين لآلهته خوفاً وفزعا منها، أمّا الجاهلي فهو يقدمها على أساس الودّ والصدقة، فكما تقوم الصدقة بين الناس على أساس الودّ والتحبّب والتقرب وتقديم الهدايا ونفائس الأشياء، كذلك تقوم الصلة بين الإنسان الجاهلي وآلهته، ولهذا نراه دائماً هو الذي يتقرب إليها بشتى وسائل التحبب والتقرب؛ حتى تمن عليه بالبركة.

ولمّا كان الجاهلي يسير في بحر الإدراك الحسيّ (المحسوس الملموس)، كان للقرابين والنذور المقام الأول في ديانته، فهي محسوسة ملموسة، تراها الأعين، وتدرّكها الأبصار، وتُفنع الإنسان الجاهلي بأنه قدم شيئاً عظيماً وثنينا لآلهته، فهو فضلها وآثرها على نفسه، وقدم إليها أعزّ الأشياء وأغلاها⁽¹⁾.

وتعد القرابين الجزء المهم في الهدايا التي كانت تقدم للآلهة عند الجاهليين - كما هي الحال عند الأمم السّابقة - فهي في نظرهم عبادة تقربهم إلى الأرباب، ولذلك لا يعد الرجل متديناً إلا بتدكّر آلهته، ووضعها نصب عينيه، وذلك بتقديم القرابين لها⁽²⁾.

ويكثر تقديم العرب للقرابين في أيام الشدة والعسر، وانتشار الأوبئة والمجاعات والقحط، ومواجهة الأخطار والحروب، وارتكاب الذنوب والخطايا، فإذا أصيب الجاهلي بمكروه، أو أصيب عزيز له بمرض نذر إلى آلهته نذراً، يقدمه حال حقق النذر، ولا يستطيع الناذر التملّص من الوفاء بالنذر؛ لاعتقاده أنّ غضبا من الآلهة سيحل عليه، ولذلك كثر تقديم الهدايا والنذور والقرابين عندهم. كما كان العرب يعظمون البيت ويقدون الأصنام أشد تقديس، ويرون أنّ تعظيم البيت وتقديس الأصنام لا يكون إلا بالذبح، وأن الذبح من تقوى القلوب، وهو الشعار الدال على إخلاص

⁽¹⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص184.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص196.

العبد في الدين، وهو علامة التعظيم⁽¹⁾، ولهذا نراهم إذا ذبحوا نضحوا الدم على الصنم، ودمّوا رأسه، كما ينضحون الدم على ما أقبل من البيت، وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة⁽²⁾.

ونلاحظ أن أكثر ما ذبح العرب على الأنصاب عند الكعبة، قربانا للآلهة، هي الإبل والكبش والبقر والثيران والمعز والغنم، لكن جلّ تركيزهم كان مقتصرًا على ذبح حيوانات ثلاثة، هي الماعز والبقر والكبش، وهم بذلك يتوافقون مع الحيوانات المذبوحة، المقدمة للآلهة عند الشعوب القديمة، ولعل هذا يرجع إلى أسباب ثلاثة:

أولهما أسوة بنبيينا الجد، إبراهيم - عليه السلام - الذي جاءه الأمر الإلهي بذبح ابنه إسماعيل، حتّى إذا استعد وهمّ للأمر، أنزل الله فداءه، وهو كبش عظيم، وقد قال الله في كتابه: ﴿وَدَيْنَاهُ ذَبْحٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾، وفي هذا دلالة على أنّه أحب الذبائح إلى الإله المعبود، وعن ابن عباس: "وإنّ رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يبس" فقريش توارثوا قرني الكبش الذي فدى به إبراهيم، خلفا عن سلف، وجيلًا بعد جيل، إلى أن بعث الله رسوله (صلى الله عليه وسلم)⁽⁴⁾.

وثانيهما كثرة تداول هذه الحيوانات الثلاثة بين عامة الناس، وتوفرها، فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها ما لا طاقة به، فهي ليست كقرايين بعض الديانات القديمة، كالوثنية مثلاً، التي تتطلب أن تكون قرايينها من الدببة والأسود، والحيوانات النادرة الوجود، كما هو الحال عند النرويجيين في الماضي، الذين يعمدون إلى اصطياد الدببة، والشرب من دمها بعد ذبحها، ليحل عليهم الخير والقوة، ونلاحظ حتى عهدنا القريب أن أبناء الشعب (الهوتنتون) في إفريقيا يصطادون الأسود، ليذبحوها، ويشربون من دمها⁽⁵⁾.

وثالثهما أن قدامى المصريين كانوا يعبدون برج الحمل، ويحرمون ذبح الغنم، ويكرهون حتّى من يرعاها، فقد جاء في سفر التكوين: "لأن كل راعي غنم هو رجس عند المصريين"⁽⁶⁾، كما كانت

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص196.

⁽²⁾ الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، ط1، ج6، ص48

⁽³⁾ الصافات، آية (107).

⁽⁴⁾ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ج4، 1419هـ، ص171-172.

⁽⁵⁾ الجوهرى، محمد: علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية)، ط1، القاهرة: دار المعارف، 1980، 571/2.

⁽⁶⁾ التكوين 46: 34.

بعض الطوائف من الصابئة، تعبد الجن، معتقدين أنه يكون على صورة الماعز، ولذلك كانوا يحرمون أكل لحمه.

أمّا البقر، فمعظم الأديان الوثنية تحرمها عامة، والهندوس خاصة، ومن أجل مخو هذه الآثار الخاطئة الآثمة، شرّع الله تقريب هذه الأنواع الثلاثة من الحيوانات. وبهذا يصبح العقل الذي ظنوه مطلق العصيان، هو وسيلة للتقرب من الله، ونيل محبته ورضاه، واستغفار الذنوب والخطايا والآثام.

المبحث الأول

القرايين البشرية

إن مبدأ استرضاء الآلهة بالدم البشري مسألة عامة، مارستها الشعوب القديمة كلها، فقد كانت التضحيات البشرية من مظاهر التدين القديم، وذلك أن الضحايا في أقدم أشكالها وعند طائفة كبيرة من الأمم كانت تقدم من بني الإنسان، خاصة أن القرايين البشرية في بداية عهدها لم تكن تقرباً من الآلهة وطلباً لرضاها فحسب، بل كان تمثيلاً لموت الإله نفسه، والقريان ما إن يختار لغاية التضحية، حتى يفقد صفته البشرية، وتحلّ به الروح المقدسة المستعدة للموت، وهو إذ يتعذب ويموت، لا يلاقي مصيراً فردياً بئساً، وإنما يشارك الروح الإلهية موتها وعذاباتها⁽¹⁾، ولهذا نجد في الطقوس السومرية الدينية، الكهنة يضربون أنفسهم حتى تلطخ دماؤهم المعبد، وبعضهم كان يفتدي ذاته بإخصاء نفسه بنفسه⁽²⁾.

وهناك صنم لدى العرب اسمه نسر، عبده العرب وقدسوه، وقرنوه بالعزى كبرى آلهتهم، فقدّموا له القرايين البشرية، على غرار عروس النيل عند المصريين، والصبايا المنذورات اللواتي كنّ يقدّمن في احتفال ديني إلى التتين الأسطوري في معابد "دامبوي" إبان موسم البذار⁽³⁾. وفيه قال عمرو بن الجن في قوله⁽⁴⁾:

(الطويل)

عَلَى قُنَّةِ الْغُرَى أَوْ النَّسْرِ عَنَدَمَا
أَبْيَلُ الْأَبْيَلِينَ الْمَسِيحَ بَنَ مَرِيَمَا
حُسَامًا إِذَا مَا هُزَّ بِالْكَفِّ صَمَمَا

أَمَّا وَدِمَاءُ مَائِرَاتٍ تُخَالِهَا
وَمَا قَدَسَ الرَّهْبَانُ فِي كُلِّ هَيْكَلٍ
لَقَدْ ذَاقَ مِنَّا عَامِرٌ يَوْمَ لَغَلَعٍ⁽⁵⁾

⁽¹⁾ السواح، فراس: لغز عشتار، ص 288-289.

⁽²⁾ ديورانت: قصة الحضارة، ص 315.

⁽³⁾ أبو يحيى، أحمد إسماعيل: الحية في التراث العربي، بيروت: المكتبة العصرية، 1997م، ص 177.

⁽⁴⁾ لسان العرب، مادة (قنن).

⁽⁵⁾ يوم لعلع: جبل كانت به وقعة.

وتؤكد أخبار الجاهليين ومروياتهم¹ أن قبيلة "مراد" كانت تتعبد نسرا يأتيها كل عام، فيضربون له خباء، ويقرعون بين فتياتهم، فأينهن أصابتها القرعة أخرجوها إلى النسر، فأدخلوها الخباء معه، فيمزقها ويأكلها، ويؤتى بخمر فيشربه، ثم يخبرهم بما يصنعون في عامهم ويطير، ثم يأتيهم في عام قابل، فيصنعون به مثل ذلك.

ولما أتاهم النسر لعادته، أقرعوا بين فتياتهم، فأصابت القرعة بنتا من مراد، وكانت فيهم أرملة من همدان قد ولدت لرجل منهم جارية جميلة، فاقترح بعض المراديين لبعض بأن يفتدوا فتاتهم بابتة الهمدانية، فأجمع رأيهم على ذلك، وعلمت الفتاة ما يُراد بها، ووافق ذلك قدوم خالها عمير بن خالد بن الحصين، فأخبرته أخته بما صنعت مراد، وأنشدت قائلة²:

(الطويل)

وَتُهْدِي إِلَى نَسْرِ كَرِيمَةٍ حَاشِدٍ	أَتُنِّي مُرَادَ عَامَهَا عَنْ فَتَاتِهَا
فَتَى حِي هَمْدَانَ عَمِيرَ بْنَ خَالِدٍ	تُزْفُ إِلَيْهِ كَالْعُرُوسِ وَخَالِهَا
فَمَا لَيْلٌ مَنْ تُهْدَى لِنَسْرِ بَرَّاقِدٍ	فَإِنْ تَنَمَّ الْخَوْذُ الَّتِي فُدِيتَ بِنَا
بِكَفِّ فَتَى حَامِي الْحَقِيقَةِ حَارِدٍ	مَعَ أَنِّي قَدْ أَرْجُو مِنْ اللَّهِ قَتْلَهُ

فدبر الهمداني مكيدة تمكنه من قتل النسر، حيث دخل الخباء وكمن في ناحية، وقال لأخته: إذا جاؤوك فاذفعي ابنتك إليهم، فأقبلت مراد إلى الهمدانية، فدفعت ابنتها إليهم، فأقبلوا بالفتاة حتى أدخلوها الخباء، ثم انصرفوا. فحجل النسر نحوها، فرماه الهمداني بقوسه، فمات، ثم أخذ أخته وابنتها قاصدين بلادا غير بلادهم، وأنشد مفتخرا³:

(الطويل)

بَوَادِي خُرَاضٍ مَا تَغْذِي مُرَادَ	وَمَا كَانَ مِنْ نَسْرِ هَجَفَ قَتْلَتَهُ
فَإِنْ بَاعَدُونَا فَالْقُلُوبُ بَعَادَ	أَرْحَتُهُمْ مِنْهُ وَأَطْفَاءُ سُنَّةَ
فَتَاةِ أَنَاسٍ كَالْبَنِيَّةِ زَادَ	لَهُ كُلَّ عَامٍ مِنْ نِسَاءِ مَخَايِرَ

¹ السيوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م، ص130.

² السيوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص130.

³ السيوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ص131.

تُرَفَّ إِلَيْهِ كَالْعُرُوسِ وَمَالَهُ
فَلَمَّا شَكَتْهُ حُرَّةٌ حَاشِدِيَّةٌ
سَدَدَتْ لَهُ قَوْسِي فِي الْكَفِّ أَسْهَمَ
فَأَرْمِيهِ مَتْنٌ تَحْتَ الدُّجَى فَاخْتَلَّتْهُ
وَأَنْشَأَتِ الْفَتَاةُ تَقُولُ⁽¹⁾:

إِلَيْهَا سِوَى أَكْلِ الْفَتَاةِ مَعَادِ
أَبُوهَا أَبِي وَالْأُمُّ بَعْدَ سُهَادِ
مَرَاغِيسِ حَرَاتِ النَّصَالِ حِدَادِ
وَدُونِي عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ سَوَادِ

(المتقارب)

جَزَا اللَّهُ خَالِي خَيْرَ الْجَزَا
زُفِفْتُ إِلَيْهِ زِفَافُ الْعُرُوسِ
فَيَرْمِيهِ خَالِي عَنْ رَقَبَةٍ
وَأَضْحَتْ مُرَادُ لَهَا مَاتَمَ

بِمَتْرَكِهِ النَّسْرِ زَهْفًا صَرِيحًا
وَكَانَ بِمِثْلِي قَدِيمًا بِلُوعَا
بِسَاهُمْ فَأَنْفَذَ مِنْهُ الدَّسِيحَا
عَلَى النَّسْرِ تَذْرَى عَلَيْهِ الدُّمُوعَا

ولمّا قُتِلَ نَسْرُ الْمَرَادِيِّينَ عَظُمَتِ الْمَصِيبَةُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا أَهَاجَ الْحَرْبُ بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ، وَاسْتَمَرَّتْ حَتَّى حَجَرَ الْإِسْلَامُ بَيْنَهُمَا.

وتذكر أخبار الجاهليين ومروياتهم قصة الحطيئة التي يصف بها حال البدويّ الجائع الذي نزل عنده ضيفا، فقال⁽²⁾:

(الطويل)

وَطَاوِي ثَلَاثَ عَاصِبِ الْبَطْنِ مُرْمِلٍ
أَخِي جَفْوَةٍ فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَخَشَّةٌ
وَأَفْرَدَ فِي شِعْبٍ عَجُوزًا إِزَاءَهَا

بَتِيهَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسَمًا⁽³⁾
يَرَى الْبُؤْسَ فِيهَا مِنْ شَرَّاسَتِهِ نُعْمَى⁽⁴⁾
ثَلَاثَةَ أَشْجَبَاحٍ تَخَالُهُمْ بُهْمَا⁽⁵⁾

⁽¹⁾ السيوطي، جلال الدين: المزهَر في علوم اللغة وأنواعها، ص131.

⁽²⁾ الحطيئة، جرول بن أوس: الديوان، برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب: مفيد محمد قمحية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م، ص178.

⁽³⁾ الطاوي: الجائع، ثلاث: أي ثلاث ليال، عاصب البطن: أي يشدّ بطنه بخرقه، كناية عن الجوع، مُرْمِلٌ: مُحْتَاجٌ، بتيهَاء: بصحراء.

⁽⁴⁾ جفوة: غليظ الطبع، يرى البؤس فيها: أي أنه يحب العزلة في الصحراء، فسعادته في وحدته.

⁽⁵⁾ بُهْمَا: جمع بُهْمَة، والمقصود ولد الماعز.

حُفَاة عَرَاةٌ مَا اغْتَذُوا خَبِزَ مَلَّةٌ وَلَا عَرَفُوا لِلْبُرِّ مُذْ خَلَقُوا طَعْمًا⁽¹⁾

رَأَى شَجَباً وَسَطَ الظَّلَامِ فَرَاغَهُ فَلَمَّا بَدَا ضَيْفًا تَسَوَّرَ وَاهْتَمَّا⁽²⁾

ولمّا نزل عنده الضيف أراد إكرامه بطبخ اللحم له، لكنّ الحطيئة لم يستطع القيام بواجبه وحقه من الإكرام، فدخل في حيرة كبيرة، وصراع نفسي داخلي، فأحسّ عليه ابنه، وأشار عليه أن يقدمه فداء، للقيام بواجب الضيف، حيث قال⁽³⁾:

(الطويل)

فَقَالَ ابْنُهُ لَمَّا رَأَاهُ بِحِيرَةٍ أَيَا أَبْتَ اذْبَحْنِي وَيَسِّرْ لَهُ طَعْمًا

وَلَا تَعْتَذِرِ بِالْعُدْمِ عَلَى الَّذِي طَرَا يَظُنُّ لَنَا مَالًا فَيُوسِسُغْنَا ذِمًّا⁽⁴⁾

أخذ الحطيئة يفكر في اقتراح ابنه، فامتنع عن الفكرة بداية، لكنه سرعان ما همّ لذبحه، فيقول⁽⁵⁾:

(الطويل)

فَرَوَى قَلِيلًا ثُمَّ أَحْجَمَ بُرْهَةً وَإِنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فَتَأَهُ فَقَدْ هَمَّا⁽⁶⁾

ثمّ توقف، وعاد إلى صراعه الداخلي، وأخذ يدعو ربه، قائلاً⁽⁷⁾:

(الطويل)

وَقَالَ هَيَا رَبَاهُ ضَيْفٌ وَلَا قَرَى؟ بِحَقِّكَ لَا تَحْرِمْهُ تَا اللَّيْلَةَ الْحَمَّا⁽⁸⁾

وما إن دعا ربّه حتّى استجاب له، ورزقه قطيعاً من الأتن الوحشيّة السمينّة الفتيّة، فتوجه نحوها حذراً، وفي نفسه ظمأ إلى اصطياد بعضها، ولمّا أخذت الأتن حاجتها من الماء سحب من جعبته سهامه القاتلة، واصطاد بعضها، وقام بواجب ضيفه من الطعام والإكرام، فيقول⁽⁹⁾:

⁽¹⁾ ملّة: الرّماد الحار.

⁽²⁾ راعه: أخافه، تسوّر: أفرجه.

⁽³⁾ الحطيئة: الديوان، ص178.

⁽⁴⁾ العُدْم: الفقر، طرا: أي طرأ، وخففت الهمزة للضرورة الشعرية.

⁽⁵⁾ الحطيئة، الديوان، ص178.

⁽⁶⁾ فروى: ففكر، أحجم: امتنع.

⁽⁷⁾ الحطيئة، الديوان، ص178.

⁽⁸⁾ قرى: طعام.

⁽⁹⁾ الحطيئة: الديوان، ص178-179.

(الطويل)

فبينما هما عنت على البعد عانةً
عطاشاً تريداً الماء فأنساب نحوها
فأمهلها حتى تروى عطاشها
فخرت نحوص ذات جحش سمينه
فيا بشرة إذ جرهما نحو قومه
فبأثوا كراماً قد قضوا حق ضيفهم
وبأت أبوهم من بثاشته أبا

قد انتظمت من خلف مسحلها نظماً¹
على أنه منها إلى دمه أظماً
فأرسل فيها من كنانته سهماً
قد اكتنرت لحماً وقد طبقت شحماً
ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى²
فلم يغرموا غرماً وقد غنموا غنماً
لضيفهم والأثم من بشرها أمّا

إن قصة الحطيئة وابنه تذكّرنا بقصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، حينما همّ لذبح ابنه فتدخل الله وفداه بذبح عظيم، وقد ذكر أمية بن أبي الصلت هذه القصة في ديوانه، فقال³:

(الخفيف)

ابني إني نذرتك لله شحيطاً
واشدد الصفد لا أحيد عن السكي
ولهُ مديّة تخايل في اللح
بينما يخلع السراويل عنه

فما صبر فدى لك خالي
ن حيد الأسير ذي الأغلال
م هـ ذام جليّة كالهلل
فكه ربه بكبش جلال

وقام أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم بمنع أخيه عبدالله والد النبي⁴ (صلى الله عليه وسلم) من ذبح محقق، إذ أمسك يد أبيه الذي أراد ذبح ابنه عبدالله ليقدمه قرباناً بشرياً لربه؛ لأنّه استجاب له ورزقه بعشرة أولاد ورآهم رجالاً، فعندما هم والده بذبحه، وثب إليه ومسك يد أبيه عن أخيه، وقال⁵:

¹ عنت: بدت، العانة: قطع الأتّن، المسحل: حمار الوحش.

² الكلم: الجرح.

³ أمية بن أبي الصلت: الديوان، جمعه وحققه وشرحه: سجع حميل الجبيلي، ط1، بيروت: دار صادر، 1998م، ص108-110.

⁴ لقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله: "أنا ابن الذبيحين"، قاصداً أباه عبدالله وجده إسماعيل عليه السلام.

⁵ وينظر: منبه، وهب: كتاب التيجان في ملوك حمير، ص213.

(الرجز)

كَلَّا وَرَبِّ الْبَيْتِ ذِي الْأَنْصَابِ مَا ذَبَحَ عَبْدُ اللَّهِ بِالْأَلْعَابِ
يَا شَيْبُ إِنَّ الرِّيحَ دُوَّ عِقَابِ أَنْ لَنَا مَرَّةً فِي الْخَطَابِ
أُخْوَالِ صِدْقِ كَأَسْوَدِ الْغَابِ

فقام عبد المطلب قائلاً⁽¹⁾:

(الرجز)

عَاهَدْتُ رَبِّي، وَأَنَا مَوْفٍ عَهْدِهِ
أَخَافُ رَبِّي إِنْ تَرَكْتُ وَعْدَهُ
وَاللَّهُ لَا يَحْمَدُ شَيْءٌ حَمْدَهُ

فلما سمعت بنو مخزوم هذا من أبي طالب، وكانوا أخواله، قالوا: صدق ابن أختنا وأسرعوا إلى عبد المطلب، فقالوا: يا أبا الحرث إنا لا نسلم ابن أختنا للذبح فاذبح من شئت من ولدك غيره، واهتدى عن طريق عرافة إلى افتداء ابنه بمئة من الإبل، فأحضر من الإبل مئة، وضرب بالقداح عليها وعلى عبدالله فخرجت على الإبل، فكبر الناس وقالوا قد رضي ربك، فقال⁽²⁾:

(الرجز)

لَهُم رَّبُّ الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ
الطَّيِّبِ، الْمُبَارَكِ، الْمُعْظَمِ
أَنْتَ الَّذِي أَعْتَنَيْتَنِي فِي زَمَرٍ

ثم أعاد ضرب القداح، فخرجت على الإبل، فقال⁽³⁾:

(الرجز)

لَهُمْ قَدْ أَعْطَيْتَنِي سُؤَالِي

⁽¹⁾ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، ص293.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص208.

⁽³⁾ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي ، ص208.

أَكْثَرَتْ بَعْدَ قَلَّةٍ عِيَالِي
فَأَجْعَلَ فِدَاهَ الْيَوْمَ جَلَّ مَالِي

وما زال حتى ضرب بالقداح الثالثة، فخرجت على الإبل، فنحرها، فخرج مناديه للناس قائلاً: ألا
فخذوا لحمها، وانصرف عنها، ووثب الناس يأخذونها، وفي ذلك قال مرة بن خلف الفهمي⁽¹⁾:
(الطويل)

كَمَا قَسَمْتَ نَهَباً دِيَاتِ ابْنِ هَاشِمٍ بِبَطْحَاءَ بَسَلٍ حَيْثُ يَغْتَصِبُ الْبُرْكِ

ويذكر اليعقوبي أن أول من سنّ سنة الدية فداء للإنسان هو عبد المطلب، وأن العرب تعلمت الدية
من الإبل منه.

ونستشف من الأبيات الآتية أن العرب كانوا يقدمون أنفسهم قرابين بشرية فداءً للأسلاف،
وذلك عن طريق نحر الشخص نفسه واللاحق بالميت، وقد تعرّض حميد بن ثور لمثل هذا، فقال⁽²⁾:
(الطويل)

فَلَمَّا دَنَوْا لِلْحَيِّ أَسْمِعْ هَاتِفُ عَلَى غَفْلَةِ النَّسْوَانِ وَهِيَ عَلَى رَحْلِ
فَقَامَتْ إِلَى مُوسَى لِتَذْبَحَ نَفْسَهَا وَأَعْجَلَهَا وَشَاكُ الرِّزْيَةِ وَالتَّكْلِ

⁽¹⁾ المرجع نفسه، 209.

⁽²⁾ حميد بن ثور: الديوان، إشراف: الدكتور محمد يوسف نجم، ط1، بيروت: دار صادر، 1995م، ص82.

المبحث الثاني

القربان الحيوانية

حاول الجاهليون أن يسلكوا طريق الارتقاء البشري فأظهروا مفارقتهم للأمم الوثنية السابقة في شعيرة القربان البشرية، واكتفوا بتقديم القربان الحيوانية، فهي السبيل الوحيد إلى نجاة الإنسان من الموت الشنيع، لكنهم توسعوا في هذا المجال توسّعاً أثقل على الناس ثقلاً كبيراً، فجعلهم لا يرون عملاً من أعمالهم إلا ويحتاج إلى قربان، فولادة المولود يحتاج إلى قربان، والشفاء من المرض يحتاج إلى قربان، ووفاء الآلهة لما يريدون تحتاج إلى قربان، حتى الموت عندهم له قربان، وجاءت هذه المرحلة من مراحل تطور مفهوم القربان وموضوعه كنتيجة للتطور الفكري الحاصل في عقيدة الجاهليين وشرائعهم الدينية.

والجاهليون كغيرهم من الأمم السابقة بالغوا في تقديم القربان الحيوانية للآلهة، بل تقننوا بها، ولم يتركوا ساحة إلا وحاولوا فيها التقرب إلى أربابهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر، فقال الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ ﴾⁽²⁾، أي ما ذُبح لغير الله، وهذا يدل على وجود ظاهرة القربان عند العرب قبل الإسلام، ومن أشكالها تقرب العرب إلى الكواكب والنجوم بالذبح، أو تقديم أهل مكة ما يسمّى بذبيحة الجن؛ تقرباً له، وقال الزمخشري: " كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عيناً ذبحوا ذبيحة خوفاً أن تصيبهم الجن، فأضيفت إليهم الذبائح لذلك"⁽³⁾.

ويتوجّب على الجاهليّ عند الذبح أن يسفك دم الحيوان (القربان) على مذبح، أو على نصب، وهي بمثابة أروقة المعابد التي كانت تستخدم في المقام الأول لجلوس المتعبدين على المصاطب وحول موائد القربان، وقد عرف الأنباط مثل هذا النوع من الذبائح، وقد أطلقوا عليه اسم " الأقرن"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ الإلهال في الآية الكريمة : هو رفع الصوت عند الذبح للآلهة المعبودة.

⁽²⁾ سورة البقرة، الآية 173.

⁽³⁾ آل الشيخ، عبد الرحمن: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الرياض، 1983م، ص111-112.

⁽⁴⁾ عباس، إحسان: تاريخ دولة الأنباط، ط1، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1987، ص137.

وقد جاء في تلبّيات بعض العرب الجاهليين إلى ما يشير إلى وجوب إراقة الدماء وقت الحج، فجاء في تلبية قبيلة غسان: " لك النداء وعجنا وثجّنا⁽¹⁾ وحجنا"، وجاء في تلبية كنانة: " يوم التعريف، يوم الدعاء والوقوف، وذي صباح الدماء من ثجها والنزيف⁽²⁾، وكانت تلبية جرهم: " نحن بنو قحطان حيث كنا، ننحر عند المشعرين البُدن"⁽³⁾، ونجد والذبح والنحر شعيرة أساسية من شعائر الحج في ديننا الحنيف خاصة وأنها وسيلة تعبيرية تعبّر عن الطاعة والخضوع واللجوء إلى الله، ويقول الله سبحانه: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾⁽⁴⁾.

وحينما جاء الإسلام وحدّ شعيرة الذبح، وأوجب على المسلمين اتباعها، إذ لم تكن واحدة لدى القبائل، فلكل قبيلة طريققتها وأسلوبها في الذبح، فهذا يرجع إلى معتقدات وديانات القبيلة وأساطيرها.

وتذكر لنا كتب التاريخ أنّ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ذبح ذبيحة للأصنام، فأخذ منها، وطبخ له، وحمله زيد بن حارثة وذهبا ليأكله في إحدى الشعاب، فلقيهما زيد بن عمرو بن نفيل، وكان من المتألهين في الجاهلية، فدعاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليشاركهما الطعام، فسأله عنه، فقال: هو من شيء ذبحناه لآلهتنا، فقال زيد: إني لا أكل من شيء ذبح للأصنام⁽⁵⁾، وإني على دين إبراهيم، فأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) زيد بن حارثة بإلقاء ما معه⁽⁶⁾، ولمّا جاء الإسلام لم يمنع الذبح، بل حتّى عليه، فقال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾⁽⁷⁾، وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁸⁾، والنسك هو الذبح لله تعالى في الحج والعمرة،

⁽¹⁾ الثَّج: هو الذبح، وصَبَّ الدَّم وسيلان دماء الهدي.

ينظر: أبو رحمة، خليل: قراءة في تلبّيات العرب في العصر الجاهلي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 1982م، ص105.

⁽²⁾ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، ج1، ص255.

⁽³⁾ قطرب، محمد بن المستنير: الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق: حاتم الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م، ص41.

⁽⁴⁾ سورة الحج: الآية 36.

⁽⁵⁾ البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق: مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط1، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1988، حديث رقم: 1267، ج4، ص94.

⁽⁶⁾ المعري، أبو علاء: رسالة الغفران، بيروت: دار القلم، 1975م، ص266.

⁽⁷⁾ سورة الكوثر، الآية 2.

⁽⁸⁾ سورة الأنعام، الآية 162.

ابتغاء وجهه، ورغبة بفضله، وهو من أعظم العبادات المأليّة، ولأهميتها قرنها الله سبحانه بالصلاة، كما رأينا في الآيتين السابقتين.

لقد كان القران حديث الإنسان اليومي، فهو معيار صلة العبد بربه، ومدى تقربه منه، بل تكاد تكون العلامة الفارقة عندهم للدين، والرجل المتدين عندهم هو من يتذكر آلهته، ويضعها نصب عينه، وذلك بتقديم القرابين لها، وكذلك الإنسان في العصر الجاهلي، جلّ همه رضا آلهته عليه، لذلك كان ينذر إذا حدث معي كذا وكذا سأذبح للصنم، فإذا استجاب له ولطلبه، كان من الواجب أن يعظمه، وتعظيم الصنم حسب اعتقاده لا يكون إلا بالذبائح، قال المسلمون: يا رسول الله، كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم، فنحن أحق أن نعظمه¹، وقد حملت القرابين عندهم طابعين، أولاهما ديني تؤدي فيه فريضة ويستجاب فيه لأمر إلهي، وثانيهما يبتغى منه منفعة دنيوية.

إنّ مبدأ حياة الإنسان الجاهلي مقترنة عنده بالدم، ولهذا تبدأ حياته بذبح الحيوانات بوصفها قرابين للآلهة وتنتهي بالأمر نفسه بالذبائح، كما كانوا يعمدون إلى تلطيخ شيء من دم الذبيحة على الشيء المذبح لأجله²، اعتقاداً منهم بأن الآلهة تحس بدم القران³، وبالتالي ينتقل دم القران الحار إلى الرب المعبود الذي يكتفي به، ويهدأ غضبه ويرضى عنهم⁴، ولم تقتصر القرابين الحيوانية على نوع واحد من الذبائح، بل تعددت أنواعها، وأشكال تقديمها، ومنها:

العقيقة:

وهي في اللغة من (عقق) بمعنى شقّ وقطع، ومنه جاءت تسمية شعر المولود بالعقيقة؛ لأنه إن كان على رأس المولود شعر قطع، أي حلق، والذبيحة سميت بالعقيقة؛ بسبب شقّ حلقومها قطعاً.⁵

¹ الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 2000م، ج9، ص508.

² نلاحظ أنّ هذا العمل (تلطيخ رأس المولود بدم الذبيحة) يمارسه الأهالي حتى يومنا هذا، وليس المقصود من هذا العمل الشرك بالله، إنما ممارسة لا إرادية لما هو موجود في اللاوعي من عقل الإنسان.

³ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص61.

⁴ الحوت، سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط1، بيروت: مطبعة دار الكتب، 1955م، ص151.

⁵ - تاج العروس، (عقق)، ج26، ص171.

أمّا اصطلاحاً فهي ذبح شاة عند ميلاد المولود، وتلطّيح شيء من دمها برأسه، وتذبح عادة في اليوم السابع⁽¹⁾ من ميلاد الطفل.

والعقيقة كلمة جاهلية وردت في الشعر الجاهلي، وفي ذلك قال عمرو بن معدي يكرب⁽²⁾:

(الطويل)

شددت على مهران لما لقيته بكفي صمصام العقيقة مُخدّم

ويذكر علماء اللغة تعريفاً آخر للعقيقة، فهو شعر كل مولود يخرج على رأسه في بطن أمه، وقد سميت الشاة المذبوحة بالعقيقة؛ لذبحها عند الاحتفال بحلق هذا الشعر. وقد كانوا يعيرون من لم تحلق عقيقته، إذ يرون في ذلك منقصة لا تليق بالرجل الكامل⁽³⁾.

ونلاحظ أن شعر الإنسان أدّى منذ القدم دوراً مهماً في حياة الناس، وانعكس هذا الدور على طقوسهم وتصرفاتهم وسلوكهم، ووفق المعتقدات فقد كان الشعر مركز الروح والقوة، وكان الشعر الطويل صفة رئيسة من الصفات التي يتمتع بها أنصاف الآلهة والأبطال لدى الشعوب القديمة⁽⁴⁾، لذلك كان من صفات أنكيكو، وذلك ما وضحته الأسطورة البابلية حول خلق أنكيكو: " خلّقت أنكيكو القوي أرومه ننورتا وكست جسده كله بالشعر ورتبت له شعر الرأس كشعر امرأة وجدّلته فأصبح سنابل حنطة"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ هناك سؤال قد يخطر في بال أحدنا، لماذا في اليوم السابع يتم الذبح؟

ريما يدل العدد سبعة على القوة العظمى، وعلى العبور من مرحلة إلى أخرى، كما يدل على التجدد، فنجد عند الساميين التتين ذا الرؤوس السبعة، يلدغ هرقل السوري في أثناء فتوحاته، وكانت حفلات الزواج عند بعض الساميين مدتها سبعة أيام، والمآتم تظل لسبعة أيام، ويُذكر أن أول يوم أشرقت فيه الشمس بعد الطوفان اليوم السابع. ينظر: السهيلي، محمد توفيق: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، (د.ت)، ص 209.

كما كان العرب لا يسمون أبناءهم إلا في اليوم السابع من ولادته، وتذكر كتب السير أن "عبد المطلب" هو الذي سمى الرسول محمداً، في يوم سابعه، أخذه فدخل به الكعبة، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها، وفي هذا اليوم عقّ له على عادة العرب في ذلك العهد. وتذكر أيضاً أن قريشاً "قالوا لعبد المطلب ما سميت ابنك هذا؟ قال سمّيته محمداً.

⁽²⁾ عمرو بن معدي كرب الزبيدي: شعره، جمعه ونسقه مطاع الطرايشي، ط2، 1985م، ص38.

⁽³⁾ علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج8، ص243.

⁽⁴⁾ الباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ص335.

⁽⁵⁾ الماجدي، خزعل: **إنجيل بابل**، ط1، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1988م، ص196.

ولمّا كان الفكر العربي لا ينفصل عن الفكر القديم احتلّ الشعر تلك المكانة المقدسة عندهم، فكانوا يحلقون عقيدة الطفل ويضعونها أمام الصنم، وهو الإله المعبود، ولعلّ حلق العقيدة هو نوع من الفداء لهذا الطفل، وقد أشار امرؤ القيس إلى ذلك، فقال⁽¹⁾:

(المتقارب)

أَيَا هِنْدُ لَا تَنْكَحِي بُوَهَّهً عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ أَحْسَبَا

ومن عادات ومعتقدات العرب الجاهليين عند ذبح شاة ميلاد المولود، تلطيخ شيء من دمها برأس المولود، لإكساب الطفل شيئاً من قداسة الآلهة، فلا يستطيع شيء إيذاءه، أو الاقتراب منه. وربّما كانت العقيدة في أصلها فداء للإنسان أي المولود الجديد، فبدلاً من أن يقدم الإنسان ابنه قرباناً لرَبِّه، أخذ يقدم قرباناً حيوانياً فداءً عن ابنه، كما حصل مع نبينا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وقد أشرنا سابقاً أن الشعوب القديمة كانت تقدم أبناءها قربانين بشرية لآلهتها، خاصة البكر منها؛ طمعاً بالقرب والرضا من آلهتهم. ونلاحظ في يومنا هذا من هو معترّ أو تعس في حياته، ولم يذبح له والده، أول ما ينصحه الناس هو ذبح عقيدة عن نفسه، حتى يحيطه الله بالحماية، فلا تمتد له أي يد بسوء.

العتيرة:

العُتْرُ هو الصنم، وما يعتر له، أي ما يذبح له والعتيرة كلمة جاهلية، ولها علاقة بمعتقداتهم الدينية الوثنية، وقد ورد ذكرها في معلقة الحارث بن حَلْزَة، فيقول⁽²⁾:

(الخفيف)

عَنَّا بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا تُغ ثُر، عَن حَجَرَةِ الرَبِيزِ⁽³⁾، الظَّبَاءُ

⁽¹⁾ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي: الديوان، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط2، بيروت: دار المعرفة، 2004م، ص79.

⁽²⁾ الحارث بن حَلْزَة الليشكري: ديوانه، شرحه: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت)، ص36.

⁽³⁾ الربيز: الغنم بُرعاتها المجتمعة في مَرَبِضِهَا.

فنستدل من عبارة (كما تعتر) على طقوس دينية وثنية قديمة، مارسها الجاهليون في حياتهم، وتدل العتيرة على أنها شاة كانوا يقدّمونها في شهر رجب لآلهتهم بعد التسمية باسم ذلك الصنم، وبيان السبب في ذبح هذه العتيرة⁽¹⁾، ولذلك أطلقوا على تلك الأيام التي يمارسون فيها تلك الطقوس اسم أيام ترجيب وتعتر، وكانوا يدمّون رؤوس أصنامهم الذين كانوا يقربون له عترا في هذا الشهر المحرم بدم العتيرة⁽²⁾.

ويشترط أن تكون من أول ما يُنتج لهم، فباكورة الأغنام يجب أن تذبح لآلهتهم؛ وذلك على سبيل التبرّك، والتماس الازدلاف منها.

وقد قصد الحارث بن حلزة في البيت السابق المُعتقَدَة، وهي التي كانت متمثلة في أن العرب في الجاهلية كانت إذا طلب أحدهم أمراً نذرَ لئن ظفّرَ به ليزبَحَنَّ من غنمه في رجب كذا وكذا، فكأنّها النذر في يومنا هذا، فيقول أحدهم: إن بلغت إبلي مائة، عثرتُ عنها عتيرةً، فإذا بلغت مائة ضنّ بالغنم فصادَ ظبيّاً وذبحه، لأنّ نفسه ضاقت عن ذلك، وضنّ بغنمه، وهي الرّبيض فيأخذ عددها ظباءً فيذبحها في رجب مكان تلك الغنم فكانَ تلك عتائره فضرب هذا مثلاً يقول: أخذتمونا بذنب غيرنا كما أخذت الظباء مكان الغنم⁽³⁾.

وظلّ الجاهليون يتقرّبون بها لآلهتهم في طقوس وثنيّة عجيبة إلى أن جاء الإسلام، فنهى النبي عليه السلام عن ذلك في الحديث المعروف: "لا فرع ولا عتيرة"⁽⁴⁾.

ونلاحظ أنّ أمر العتيرة خالص للغنم، ومتحول عنها إلى الظباء، فما بال الإبل وهي منشودة للعتير وغير مطلوبة للنحر؟

نقول إن هذه الطقوس كلّها، لم تكن لولا حبّ الجاهلي لإبله، وتقديسه لها، وحرصه الشديد على امتلاكها، فهو يسعى جاهداً إلى إكثارها، وأن يبلغ تعداد إبله المئة، فالإبل غاية، والنذر وسيلة، ولما كانت هذه الإبل هي مركز الاهتمام، ومحور العناية لديه، اقتضى الأمر أن تكون لها طقوس كهنوتية خاصة بها، تقام كل شهر رجب من السنّة.

⁽¹⁾ ابن منظور: لسان العرب، مادة (عتر).

⁽²⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، ص201.

⁽³⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، ص536.

⁽⁴⁾ السجستاني، أبو داود سليمان: سنن أبي داود، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، حديث رقم: 2833، ج3، ص64.

ويذكر أن هناك صنما لعنزة اسمه "سعير"⁽¹⁾، كان الناس يحجون إليه ويطوفون حوله، ويعترون العتائر له، وقد ورد في شعر لجعفر بن خلاس الكلبي، عندما كان راكباً ناقه له، فمرت به، فنفرت من رؤية العتائر المصرة، فأنشأ يقول⁽²⁾:

(الكامل)

نَفَرْتُ قَلُوصِي مِنْ عَتَائِرِ صُرْعَتِ حَوْلَ السُّعَيْرِ تَزُورُهُ ابْنَا يَفْدُمِ
وَجُمُوعُ يَذْكُرُ مُهْطِعِينَ جَنَابَهُ مَا إِنْ يُحِيرُ إِلَيْهِمْ بِتَكَلَمِ
وقال آخر يشير إلى عكوف هذيل على سِوَاكِ وعترها عنده⁽³⁾:

(الوافر)

تَرَاهُمْ حَوْلَ قِيلِهِمْ عُكُوفًا كَمَا عَكَفَتْ هُذَيْلُ عَلَى سِوَاكِ
تَظَلُّ جَنَابَهُ صَرْعَى لَدَيْهِ عَتَائِرُ مِنْ ذَخَائِرِ كُلِّ رَاعِ
كما ذكرها خُزَاعِي بن عبد نُهْم في شعره، فقال⁽⁴⁾:

(الطويل)

ذَهَبْتُ إِلَيْهِمْ لِأَذْنَحَ عِنْدَهُ عَتَاةٌ نُسُكٌ كَالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ

الرجبية:

وهي في اللغة من (رجب)، وَرَجِبَ الرَّجُلُ رَجَبًا أَي فَرَعَ، وَرَجِبَ الرَّجُلُ رَجَبًا وَرَجَبَهُ يَرْجُبُهُ رَجَبًا وَرُجُوبًا وَرَجَبَهُ وَتَرَجَبَهُ وَأَرْجَبَهُ كُلُّهُ هَابَهُ وَعَظَّمَهُ فَهُوَ مَرْجُوبٌ⁽⁵⁾.

وَرَجَبُ شَهْرٍ فِي السَّنَةِ، سَمُوهُ بِذَلِكَ لِتَعْظِيمِهِمُ إِيَّاهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَنِ الْقِتَالِ فِيهِ، وَلَا يَسْتَحِلُّونَ الْقِتَالَ فِيهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: "رَجَبٌ مُضَرٌّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ"⁽⁶⁾ قوله بين جُمَادَى وَشَعْبَانَ تَأْكِيدٌ لِلْبَيَانِ وَإِضَاحٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُؤَخِّرُونَهُ مِنْ شَهْرِ إِلَى شَهْرٍ فَيَتَحَوَّلُ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ

⁽¹⁾ ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب، الأضنام، ص41.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص41.

⁽³⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، ص259.

⁽⁴⁾ ابن الكلبي: الأضنام، ص39.

⁽⁵⁾ ابن منظور: لسان العرب، مادة (رجب).

⁽⁶⁾ البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي: مسند البزار، ج12، ص298.

فبين لهم أنه الشهر الذي بين جُمادى وشعبان لا ما كانوا يسمونه على حساب النَّسيء، وإنما قيل رَجَبٌ مُضَرَّ إضافة إليهم؛ لأنهم كانوا أشدَّ تعظيماً له من غيرهم فكأنهم اختصُّوا به، والجمع أَرْجَابٌ تقول هذا رجب فإذا ضُمَّوا له شَعْبَانُ قالوا: رَجَبَانُ والتَّرجيبُ التعظيمُ.

وأنشد شَمْرٌ: أَحْمَدُ رَبِّي فَرَقًا وَأَرْجَبُهُ أَيُّ أَعْظَمُهُ، وَرَجَبٌ بِالْكَسْرِ أَكْثَرُ قَالَ⁽¹⁾:

(البسيط)

إِذَا الْعَجُوزُ اسْتَنْخَبَتْ فَاذْخَبْهَا وَلَا تَهَيَّبْهَا وَلَا تَرْجَبْهَا

أمَّا في الاصطلاح فهي كل ما يذبح من ذبائح حيوانية ونسائك؛ بقصد تقرب العرب من آلهتهم، والرجبية تشبه العتيرة إلى حد كبير، لكنَّها تختلف في أن الأولى أوسع من الأخيرة، فهي تشمل العتيرة والنقيض غير صحيح، وتَرْجِبُ العَتِيرَةُ أي دَبَحُها في شهر رَجَب، ولعلَّ من أجل ذلك كانوا يطلقون على العتيرة اسم الرجبية.

البلية:

ذكرنا سابقاً أن الجاهليين آمنوا بالحياة الأخرى، وبعثت الأجساد بعد الموت، فالإنسان ينتقل من حياة الدنيا إلى حياة أخرى يجهلها، ونستدل على ذلك من بيت زهير الذي يقول فيه⁽²⁾:

(الطويل)

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ فَيُنْقَمَ⁽³⁾

ولذلك حاول الجاهلي مساعدة أخيه الميت، ومن وسائل مساعدتهم، أنهم كانوا يحبسون ناقة الميت، بأن يشدوا الناقة إلى قبره، ويعكسوا رأسها إلى ذنبها، ويقوموا بتغطية رأسها بولية، وهي البردعة، وتربط برباط وثيق حتى لا تهرب، فإن أفلتت لم ترد عن ماء ولا كلاً، وإذا بقيت على القبر، فإنها تبقى في حفرة فلا تelf ولا تسقى حتى تموت عطشا وجوعاً، وذلك لاعتقادهم أن

⁽¹⁾ ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص411.

⁽²⁾ زهير بن أبي سلمى: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتحقيق: أحمد طلعت، بيروت: دار القاموس الحديث، 1968م، ص25.

⁽³⁾ أي يؤخر عقابه، ويُرقم في كتابه، فيدخر ليوم الحساب، أو يعجل العقاب في الدنيا قبل المصير إلى الآخرة فينتقم من صاحبه. ينظر: الزوزني، أبو عبد الله: شرح المعلقات السبع، ص115-116.

صاحبها يركبها في المعاد، ليحشر راكبا عليها، ومن لم يفعل هذا حُشر ماشيا، وفي هذا المعنى قال أبو زبيد الطائي في البلية⁽¹⁾:

(الخفيف)

كَالْبَلَايَا رُؤُوسُهَا فِي الْوَلَايَا مَانِحَاتِ السَّمُومِ حَرَّ الْخُدُودِ
وأراد الجاهلي أن يربط مصير ناقته بمصيره⁽²⁾، ولما كان الحيوان يشارك الإنسان همومه الدنيوية، كان من الأوجب مشاركته الموت، لذا فمن الوصايا المهمة للعربي، موت الناقة بموته، وهذا ما فعله جريبة بن الأشيم الأسدي عندما حضره الموت، إذ قال لابنه⁽³⁾:

(الكامل)

لَا تَتْرَكَنَّ أَبَاكَ يَعْثُرُ رَاجِلًا فِي الْحَشْرِ يَصْرَعُ لِلْيَدَيْنِ وَيَنْكَبُ
وَاحْمِلْ أَبَاكَ عَلَى بَعِيرٍ صَالِحٍ وَتَقِ الْخَطِيئَةَ إِنَّهُ هُوَ أَقْرَبُ
ولقد انتشرت هذه العادة عند العرب، حتى أصبح الآباء يوصون أبناءهم عند الموت بهذه الوصية⁽⁴⁾:

(الكامل)

يَا سَعْدُ إِمَّا أَهْلَكَنَّ فَإِنِّي أَوْصِيكَ إِنَّ أَخَا الْوَصَاةِ الْأَقْرَبُ
لَا أَعْرِفَنَّ أَبَاكَ يُحْشَرُ خَلْفَكُمْ تَعَبًا يَخْرُ عَلَى الْيَدَيْنِ وَيَنْكَبُ
وَلَعَلَّ لِي مِمَّا جَمَعْتَ مَطِيَّةً فِي الْحَشْرِ أَرْكَبُهَا إِذَا قِيلَ ارْكَبُوا

وقد ورد ذكر البلية في بيت من معلقة لبید، وهو⁽⁵⁾:

(الكامل)

⁽¹⁾ أبو زبيد الطائي: الديوان، تحقيق: نوري القيسي، (د.ط.)، بغداد: مطابع المعادن، 1963م، ص56.

⁽²⁾ الشهرستاني، محمد عبد الكريم: الملل والنحل، ط2، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1992م، ص687.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص688.

⁽⁴⁾ الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص307.

⁽⁵⁾ لبید بن ربيعة: الديوان، تحقيق إحسان عباس، الكويت: سلسلة التراث العربي، 1962م، ص115.

تأوي إلى الأطناب كل رذية⁽¹⁾ مثل البلية قالص⁽²⁾ أهدأها
ويقال لهذه الناقة: البلية، لأنّ الجاهليين يتركونها معقولة على قبر الميت حتى تبلى⁽³⁾.
ومن ذلك قول عمرو بن زيد المتمني يوصي ابنه عند موته في البلية⁽⁴⁾:

(الكامل)

أُبْنِي زَوْدَنِي إِذَا فَارَقْتَنِي فِي الْقَبْرِ رَاحِلَةً بِرَحْلِ قَاتِرِ
لِلْبُعْثِ أَرْكَبُهَا إِذَا قِيلَ أَظْعَنُوا مُسْتَوْسِقِينَ مَعًا لِحَشْرِ الْحَاشِرِ
مَنْ لَا يُوَافِيهِ عَلَى عَيْرَانَةٍ وَالْخَلْقُ بَيْنَ مُدْفَعٍ أَوْ عَاشِرِ
وقال عويمر النبھاني⁽⁵⁾:

(الكامل)

أُبْنِي لَا تَنْسِ الْبَلِيَّةَ إِنَّهَا لِأَبْيِكَ يَوْمَ نَشُورِهِ مَرْكُوبِ
وَأَوْصِي رَجُلَ ابْنِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ بِهَذَا⁽⁶⁾:

(الكامل)

لَا تَتْرُكَنَّ أَبَاكَ يُحْشَرُ مَرَّةً عَدُوًّا يَخْرُ عَلَى الْيَدَيْنِ وَيُنْكَبُ
ولعلّ الونيسة في يومنا هذا امتداد للبلية، فهي ذبيحة تذبح بعد دفن الميت مباشرة، إيناسا له
في قبره.

⁽¹⁾ رذية: المرأة المهزولة.

⁽²⁾ قالص: مرتفع.

⁽³⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، ص133.

⁽⁴⁾ الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص309.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص309.

⁽⁶⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، ص133.

العقيرة:

العقر لغة ضَرَبُ قَوَائِمِ البَعِيرِ أو الشاةِ بالسَّيْفِ، وهو قائمٌ⁽¹⁾، ويقال: جمل عقير بمعنى مقطوع القوائم وكذلك ناقة عقيرة، أي قطعت إحدى قوائمها، وفي الحديث: لا تَعْقِرَنَّ شاةً⁽²⁾، ومن عادة الجاهليين إسالة دم الذبائح على القبر أو تضريجه بتلك الدماء. فيعقر على قبور الموتى، وعند إهالة التراب على الميت، وقد يعقر على القبر كل عام وفي أثناء المناسبات إذا كان الميت من السادة المشهورين المعروفين بالخصال الحميدة كالشجاعة والكرم.

وفي الشعر الجاهلي والأخبار أسماء أناس كانوا من المشاهير في أيامهم، جرت العادة بأن تذبذ الذبائح عند قبورهم إكراماً لهم. وقد بقيت هذه العادة الجاهلية خالدة حتى اليوم مع إبطال الإسلام لها بحديث: "لا عقر في الإسلام". وليس من الضروري أن يكون أصحاب العقائر من ذوي قرابة صاحب القبر أو من قبيلته. ومن هذه القبور قبر "ربيعة بن مكرم" من "بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة"⁽³⁾. وكان الناس يعقرون على قبره. ويظهر من شعر لحسان بن ثابت قاله لما مرّ بقبره، أن قبره كان قبراً مبنياً من حجارة حرة. فيقول⁽⁴⁾:

(الكامل)

نَفَرْتُ قَلُوصِي مِنْ حِجَارَةٍ حَرَّةٍ بَنِيْتُ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبِ

لَا تَنْفُرِي يَا نَاقَ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرَابُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبِ

والعادة في العقر، عقر قوائم الدابة، وقد تعقر الدابة ثم تذبذ، والغالب أن تكون الدابة جملاً أو ناقة، ولكن بعضهم كان يعقر شاة كذلك، وذلك إذا كان أهل الميت من طبقة ضعيفة، يصعب عليها

⁽¹⁾ الزبيدي، تاج العروس، مادة (عقر).

⁽²⁾ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر: معرفة السنن والآثار، ط1، الباكستان: جامعة الدراسات الإسلامية، 1991م، ج13، ص243.

⁽³⁾ الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص125.

⁽⁴⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج9، ص174.

عقر جمل أو ناقة. وقد ورد النهي عن ذلك في حديث آخر هو: " لا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لأكله، ولا تعقرن نخلا، ولا تحرقنه"⁽¹⁾.

وقال جريبة بن الأشيم موصيا ابنه بألا يبخل عليه في عقير مطيته بعد موته، وإلا دعا عليه بالفقر والعُدم⁽²⁾:

(الطويل)

إذا متُّ فادفني بحرّاء، ما بها سوى الأصرخين، أو يُفوّز راكبُ
فإن أنت لم تعقر عليّ مطيتي فلا قام في مال لك الدهر حالبُ
ويذكر المبرد في كتابه أن رجلا وقف على قبر النجاشي فقال: لولا أنّ القول لا يحيط بما فيك،
والوصف يقصر دونك، لأطنبت بل لأسهبت، ثمّ عقر على قبره ناقته، وقال⁽³⁾:

(الطويل)

عَقَرْتُ عَلَى قَبْرِ النَّجَاشِيِّ نَاقَتِي بأبيض غضبٍ أخلصتُهُ صَيَاقِلُهُ
عَلَى قَبْرِ مَنْ لَوْ أَنِّي مِتُّ قَبْلَهُ لَهَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ قَبْرِي رَوَاحِلُهُ

القرايين الحية:

وهناك نوع آخر من القرايين الحيوانية التي يتقرّب بها إلى الأصنام، وهذا النوع ليس كالذي عهدناه سابقا، حيث الدماء تسفك واللحوم توزع، عند حوض الصنم أو على الصنم نفسه، هذا النوع مختلف، إذ يترك القربان الحيواني حرا طليقا حيا دون قيد حينما يتحقق ما يريد العبد من ربه، وذلك تقديرا وشكرا لآلهته، وقد تفنن الجاهلي بهذا النوع من القرايين، وأكثر من تخصيص الأنعام لآلهته؛ لاعتقاده أنها على علاقة بعالمهم المقدس تحظى بالعناية، وتدل على قربها من الآلهة التي كانوا يعبدون، فلا تمتد إليها يد بذبح أو بسوء، وإنما تترك حرة طليقة، فهي للآلهة، وقدسيتها مستمدة من قدسيتهم، ومن هذه الحيوانات:

⁽¹⁾ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جُردي الخراساني، أبو بكر: معرفة السنن والآثار، ج13، ص243.

⁽²⁾ الحوفي، أحمد محمد: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م، ص493. وينظر: الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص309.

⁽³⁾ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي: الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص366.

السائبة:

وهي في اللغة من (سيب)، وساب الرجل في منطقه، إذا ذهب في كل مذهب، أي أفاض فيه بغير رويّة، وترك لسانه على سجيته، ومال سايب، أي مال متروك، لا صاحب له¹.

أمّا في الاصطلاح فهي الناقة التي تسيّب، أي يتركها صاحبها، فلا ينتفع بظهرها، ولا تُمنع عن ماء ولا كلاً، ولا تُحلب ولا تتركب؛ لأنّ ركوبها حرام، وهي أشبه بالوقف في يومنا هذا. وقيل أول من سيّب السوائب عمرو بن لُحيّ، وقد نهى الله عنها، في قوله: " مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَكَا سَائِبَةٍ " ²، والسائبة بنت البحيرة كما سنرى.

وقد كان العرب في الجاهلية ينذرون نذورا، فإن تحققت سيبوا ناقتهم، كأن يقولون إذا مرضوا: إن شفيت فناقتي سائبة فيحرم الانتقاع بها، ويخلون سبيلها فلا تتركب ولا تحمل ولا يشرب لبنها، وربما هذا هو نفسه البدل المعروف عند الساميين في بلاد ما بين النهرين، والذي يقوم في وجه من وجوهه على ترك حيوان ما هائما في الخلاء، حاملا خطايا وأوزار من أطلقه، فالإنسان قديما كان يؤمن بهذا الشيء، وبإمكانية التخلص من الخطايا والآثام، وذلك بتحويلها إلى خارجه من تمثال أو حيوان³.

البحيرة:

وهي في اللغة من (بحر)، وهو المكان الواسع، الجامع للماء الكثير، فنقول: بحرت كذا: أي وسعته سعة البحر، ونقول عن الرجل المتوسع في علمه بحرا، تشبيها به، ومنه جاءت بحرت البعير: أي شققت أذنه شقا واسعا⁴.

أمّا اصطلاحا فهي من الأنعام التي كان ينذرها الجاهلي، وهي الناقة أو الشاة التي ولدت عشرة أبطن، فيقوم صاحبها ببحر أذننها، فلا ينتفع منها، ولا يركب ظهرها راكب، ولا يجزّ وبرها جاز، ولا يشرب لبنها إلا ضيف، أو يتصدق به، إذ تترك لآلئهم.

الوصيلة:

¹ (الزبيدي: تاج العروس، مادة: (سيب)).

² (المائدة، آية 103.

³ (السواح، فراس: لغز عشتار، ص 405.

⁴ (تاج العروس، مادة (بحر)).

وهي في اللغة من (وصل)، وتعني الأرض الواسعة البعيدة، كأنها وصلت بأخرى، وليلة الوصل أي آخر ليالي الشهر؛ لاتصالها بالشهر الآخر⁽¹⁾.

أما اصطلاحاً فهي الشاة التي يهبها العرب لألهتهم، والتي تلد اثنين في كل بطن خاصة، تجعل لنفسها الذكور، وللآلهة الإناث، فإذا ولدت الشاة ومعها ذكر في بطن واحد، قالوا وصلت أخاها، فيسب أخوها معها، فيحرمان على الإنسان، ولا ينتفع بهما.

وقد ذكرت هذه القربين (السائبة، والوصيلة) في بيت واحد في الشعر الجاهلي، فقال الشاعر⁽²⁾:

(الكامل)

حَوْلَ الْوَصَائِلِ فِي شَرِيفِ حَقَّةٍ وَالْحَامِيَّاتِ ظُهُورَهَا وَالسُّيَّبِ

الحامي:

وهو في اللغة من (حمي)، والحمى الموضع فيه كالأحصى من الناس أن يرعى وَالشَّيْءُ المحمي وَحَمَى الله مَحَارِمَهُ⁽³⁾.

أما اصطلاحاً فهو فحل الإبل الذي يخصصه العربي لآلهته، إذا أنجبت له عشر إناث متتابعات، ليس بينهن ذكر، يحمي ظهره، فلا يركب ولا يذبح، ولا يجزّ وبره، وخُلّي في إبله يضرب فيها، فلا يستفاد منه بغير ذلك⁽⁴⁾.

وقال شاعر في الحامي⁽⁵⁾:

(الكامل)

فَقَاتُ لَهُ عَيْنَ الْفَحِيلِ قِيَاةً وَفِيهِنَّ رَغْلَاءُ الْمَسَامِعِ وَالْحَامِي

هذه دابة الإله، ترعى وترتع في أرض الإله حرة طليقة دون قيد، لا وظيفة لها سوى أن تذكر صاحبها وأهله والناس من حوله، أن العلاقة بالإله قائمة، وتظل تلك العلاقة بالإله قائمة إلى حياة

⁽¹⁾ تاج العروس، مادة (وصل).

⁽²⁾ ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص97.

⁽³⁾ معجم الوسيط، باب (الحاء).

⁽⁴⁾ ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص115.

⁽⁵⁾ الزبيدي: تاج العروس، ج19، ص345.

الدابة النذر، فلا تستمر العلاقة إلا إذا استمرت؛ لذلك لا يسفك دمها، وهي قربان من نوع خاص، أهميته تكمن في بقائه، لا في نحره⁽¹⁾.

ومن القرآن الكريم نستدل أن هذا الأمر استقل في الجاهليين استقحالا كبيرا، حتى أصبح عندهم فرضا من فروض معتقداتهم الدينية، ولذلك ثار الإسلام عليهم، ومنعهم من القيام بمثل هذا العمل، فقال الله سبحانه: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَكَاسَائِبَةٍ وَكَاصِيلَةٍ وَكَاحَامٍ ۚ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ وَكَثُرُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾⁽²⁾.

وقد ذكرت هذه القرايين في الشعر الجاهلي، فقال الشاعر⁽³⁾:

(الكامل)

حَوْلَ الْوَصَائِلِ فِي شَرِيفِ حَقَّةٍ وَالْحَامِيَاتِ ظُهُورَهَا وَالسُّيَبِ

الْفَرْع:

أول نتاج الإبل والغنم وكانوا في الجاهلية يذبحونه لآلهتهم تقربا⁽⁴⁾، وذكر ابن فارس في مقاييس اللغة الفرع: ابن الغنم، وقد قال أوس بن حجر في ذلك⁽⁵⁾:

(المنسرح)

وَشُبَّةَ الْهَيْدَبِ⁽⁶⁾ الْعَبَامُ⁽⁷⁾ مَنْ أَلِ أَقْوَامِ سَقْبَا⁽⁸⁾ مُلَبَّسَا فَرَعَا

قال شاعر آخر فيه⁽⁹⁾:

⁽¹⁾ السعفي، وحيد: القربان في الجاهلية والإسلام، ط1، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2007م، ص167.

⁽²⁾ سورة المائدة، الآية: 103.

⁽³⁾ ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص97.

⁽⁴⁾ معجم الوسيط، باب الفاء.

⁽⁵⁾ أوس بن حجر: الديوان، شرحه الدكتور عمر فاروق الطباع، (د.ط.)، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1996م، ص49.

⁽⁶⁾ الهيدب: الذي عليه ثياب من البرد.

⁽⁷⁾ العبام: الأحمق.

⁽⁸⁾ السقب: ولد الناقة ساعة ولادته.

⁽⁹⁾ زبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (فرع).

(البسيط)

إِذْ لَا يَزَالُ قَتِيلٌ تَحْتَ رَايَتِنَا كَمَا تَشَحَّطُ سَقْبُ النَّاسِكِ الْفَرْعُ

يشبه الشاعر حال سيطرتهم على المعركة، من قتال للأعداء والسفك بهم، بحال الفرع الذي يُساق إلى صنم الناسك؛ ليذبحه له.

التفئنة أو التعمية:

كان الجاهليون إذا بلغت إبلهم ألفاً فقوّوا عين الفحل، وإذا زادت عن الألف فقوّوا الأخرى، أي عموه، وذلك لإبعاد الأذى عنهم، وعن إبلهم¹. قال أحدهم²:

(الرجز)

أَعْطِيْتُهَا أَلْفًا وَلَمْ تَبْخُلْ بِهَا فَفَقَأْتُ عَيْنَ فُحَيْلِهَا مُغْتَاةً
وقال شاعر جاهلي آخر يصف طريقة شكر العرب للآلهة³:

(الرجز)

فَكَانَ شُكْرُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمِنَّنِ كَيْ الصَّحِيحَاتِ وَفَقَاءِ الْأَعْيُنِ
وقال آخر⁴:

(الرجز)

وَهَبْتُهَا وَأَنْتَ ذُو امْتِنَانٍ تَفَقَّأُ فِيهَا أَعْيُنَ الْبِغْرَانِ

¹ ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص460.

² ابن أبي الحديد، هبة الله: شرح نهج البلاغة، ج19، ص387.

³ الجاحظ، عمرو بن بحر الكنانى: البيان والتبيين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ، ج1، ص435.

⁴ المرجع نفسه، ص387.

المبحث الثالث

القرايين النباتية

اعتقد الإنسان في العصور القديمة أن الآلهة هي التي تملك الأرض والحقول والمزروعات، وهم حينما يتقربون منها بذلك، فإنما يؤدون واجبا دينيا، يسددون فيه ما عليهم لمالك الأرض وخيراتها، وهذا طبع سامي تطبّعوا به؛ لأنّ الإله هو السيد والرب، فسموه بعلا أو بعل شمين (إله السماوات) (1).

وفي بلاد ما بين النهرين كان الساميون يتقدمون من آلهتهم يوميا بأصناف الأطعمة المختلفة، كالخضراوات والفواكه والطحين والعسل وغيرها (2)، وكانت هذه الوجبات توضع على مصاطب خاصة معدة في المذبح، تشترك فيها الآلهة مع البشر في طعامها، الذي قدّموه طمعا في القربى، ولتهدئة كبد الإله، وتجنّب غضبه (3).

وقد قدّم العرب القرايين النباتية لآلهتهم ولأصنامهم كغيرهم من الشعوب السامية، وقد تمثلت هذه القرايين النباتية ببواكير المحاصيل والنخيل، فمنهم من كان يقدمها وقفا للآلهة، كالإله المقه، والإله ذي سماوي (4).

وقد أشير إلى الهبات التي تقدم إلى المعابد والآلهة بكلمة "وهيم" في النصوص القتبانية، بمعنى "وهب" و"هبات"، ووردت كلمات أخرى تؤدي هذا المعنى أيضًا، منها: "ودم"، و"شغتم"، و"بنتم"، وتقابل هذه ما يقال له: "منحة" و"المنحة" عند العرب الشماليين (5).

ومما يدخل في هذا الباب "بكرت"، أو "الباكورة" أول كل شيء، مثل الثمر وأول مولود بالنسبة للحيوان، حيث يُهدى للآلهة، وقد كان معروفًا عند العبرانيين وعند غيرهم من الساميين؛ وذلك أن يجعل صاحب المال ثمرة أول زرعه أو حيوانه نذرًا لآلهته (6).

(1) كنتينو، جورج: الحضارة الفينيقية، ص162.

(2) بوتيرو، جان: الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، بغداد: جامعة بغداد، 1970م، ص144-145.

(3) هوك، صموئيل: ديانة بابل وآشور، ترجمة: نهاد خياطة، دمشق: العربي للطباعة والنشر، 1987، ص93.

(4) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج13، ص221.

(5) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، ص189.

(6) المرجع نفسه، ص189.

ويُذكر أن بعض العرب خاصة أهل المدر والحِث كانوا إذا حَرثوا أرضاً أو غرسوا غرساً خطّوا في وسطه خطاً يقسمه إلى قسمين، وقالوا ما دون هذا الخط للآلهة، وما ذراه لله⁽¹⁾، وذلك تقرباً من آلهتهم، والحصول على رضاهم، خاصة في أيام الشدة والمحن⁽²⁾.

وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه القرابين النباتية، فقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ۚ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۚ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾⁽³⁾، وقد كانت هذه العادة منتشرة عند العرب الأنباط⁽⁴⁾، ومن بعدهم بنو خِلان الذين قدّموا لصنمهم عميانس.

ولم يبخل الجاهليون على أصنامهم، فقدّموا لها حتى المأكّل والمشرب؛ لاعتقادهم أنها تسر بذلك وتفرح، فقد علقوا على "ذي الخلصة" - وهو صنم نصبه عمرو بن لحي - القلائد وبيض النعام، والبرد النفيسة، وقدّموا له الحنطة والشعير، بل واللبن أيضاً؛ ليشرب منه، فهم يعتقدون أن في الصنم روحاً، وأن في مقدوره التلذذ بهذه القرابين النباتية، وكان في روعهم أنه يشرب من ذلك اللبن⁽⁵⁾. وقد سميت هذه العبادة بـ "سقي الصنم باللبن"، ويروى أنّ مالك بن حارثة الأجداري قام بسقي الصنم "ود" امتثالاً لقول أبيه: "اسقه إلهك"⁽⁶⁾.

ويُذكر أن من أسباب تسمية صنم اللات⁽⁷⁾، بهذا الاسم، أن عمرو بن لحي كان يحضر الطعام ويضعه على صخرة عظيمة ثم يلبّ ما أحضره، أي يبلّ الطعام بالماء ويخلطه بشيء من السمن، ثم يطعمه قومه.

⁽¹⁾ ابن حبيب: المحبر، ج1، ص331.

⁽²⁾ ابن سيد الناس، محمد: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: محمد إبراهيم رمضان، ط1، بيروت: دار القلم، 1993م، ج2، ص317.

⁽³⁾ سورة الأنعام، الآية: 146.

⁽⁴⁾ عباس، إحسان: تاريخ دولة الأنباط، ص137.

⁽⁵⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، ص271.

⁽⁶⁾ الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص197.

⁽⁷⁾ منبه، وهب: كتاب التيجان في ملوك حمير، ص214.

ومن الأخبار التي دَوّنت عن الجاهليين أنهم كانوا يحجون إلى صنم الأقيصر، ويحلقون رؤوسهم عنده، وكانوا يلقون مع كل شعرة قُرّة⁽¹⁾ من دقيق، ويُذكر أنّ قبيلة هوازن كانت تأخذ الدقيق قبل اختلاطه مع الشعر والقمل، فتخبزه وتوزّعه، وفي ذلك قال معاوية بن عبد العزى الجرمي⁽²⁾:

(الطويل)

إِذَا قِرَّةٌ جَاءَتْ يَقُولُ أَصِيبْ بِهَا سَوَى الْقَمَلِ إِنِّي مِنْ هَوَازِنِ ضَارِعٍ

ومن جملة القرابين النباتية التي قدّمها الجاهلي لآلهته الخمر، حيث كان يشربها في أعياد الآلهة المقدسة، في وقت الصباح تحديداً؛ ولذلك سميت بالصباح، وقد ورد ذكر كلمة (الصُّبُوح) في أشعار الجاهليين، فقال عدي بن زيد⁽³⁾:

(الخفيف)

ثُمَّ نَازُوا إِلَى الصَّابُوحِ فَقَامَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ
وقال امرؤ القيس⁽⁴⁾:

(الطويل)

أَغَادِي الصَّابُوحِ عِنْدَ هَرٍّ وَفَرْتَنِي وَلَيْدًا وَهَلْ أَفْنَى شَبَابِي غَيْرُ هَرٍّ!
وقال لبيد بن ربيعة⁽⁵⁾:

(الكامل)

وَصَبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ⁽⁶⁾ بِمُوتَرٍ⁽⁷⁾ تَأْتَالُهُ⁽⁸⁾ إِبْهَامُهَا

ويعدّ هذا الطقس من بقايا طقس ديني قديم تمتد جذوره إلى السومريين، ويقصد من ورائه إرضاء الآلهة والتقرب منها، خاصة وأنهم اعتقدوا أن الخمر شراب الآلهة المقدّس، كما اعتقدوا أنه ممثل لدم

⁽¹⁾ القُرّة: القبضة.

⁽²⁾ الحموي، ياقوت: معجم البلدان، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1957م، ج1، ص238.

⁽³⁾ عدي بن يزيد العبّادي: الديوان، تحقيق محمد جبار المعيد، بغداد: دار الجمهورية للنشر، 1965م، ص78.

⁽⁴⁾ امرؤ القيس: الديوان، ص110.

⁽⁵⁾ لبيد بن ربيعة: الديوان، ص314.

⁽⁶⁾ كرينة: الجارية التي تعزف العود.

⁽⁷⁾ المُوتَر: العود.

⁽⁸⁾ الاتئّيال: المعالجة

الإله القتل، فكانوا يكثر من شربه في الأعياد التي تحيي ذكرى موته، ويعدّ من لا يشرب الخمر بهذه الصفة، ليس من المؤمنين⁽¹⁾.

واعتقدوا أن شرب الخمر يمدّهم بصفات الآلهة المقدّسة، كالبطولة والكرم، وبها يتميّز الإنسان عن عامة الناس، وقد رمز طرفة بن العبد بهذه الصفات لنفسه، فقال⁽²⁾:

(الطويل)

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذَّتِي وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي⁽³⁾ وَمُتَلَدِي
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمَعْبَدِ⁽⁴⁾

كما تمّد ندامي مجالس الشرب بصفات إلهيّة، فهم أبطال مؤلهون؛ وذلك لشربهم الشراب الإلهي المقدس باعث القداسة والحياة، وقد وصفهم بذلك الأعشى فقال⁽⁵⁾:

(البسيط)

فِي فَتِيَةٍ كَسِيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا لِأَنْ لَيْسَ يَذْفَعُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الْحِيلُ

ويؤيّد هذا المعتقد حسان بن الثبات، إذ ينسب السيادة والشجاعة لشاربي الخمر، وفي ذلك يقول⁽⁶⁾:

(الوافر)

وَنَشْرِبُهَا فَتَنْزُكُنَا مُلُوكًا وَأُسْدَا مَا يُنْهِنُنَا اللَّقَاءُ

كما وصف حسان بن ثابت الخمرة (الشراب الإلهي) بالترياق، الذي يحمل قوى سحرية تطرد الأرواح الشريرة، وفي ذلك قال⁽⁷⁾:

(السريع)

مَنْ خُمِرَ بِنِسَانٍ تَخَيَّرْتُهَا تَرِيَاقَةً تُورِثُ فَنَرَ الْعِظَامِ

⁽¹⁾ البطل، علي: الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري، بيروت: دن، 1981م، ص75.

⁽²⁾ طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق كرم البستاني، بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، د.ت، ص34.

⁽³⁾ الطريف: المال الحديث، عكسها المتلد: المال القديم الموروث.

⁽⁴⁾ البعير المعبد: المذل المطلي بالقطران.

⁽⁵⁾ الأعشى: الديوان، ص284.

⁽⁶⁾ حسان بن ثابت الأنصاري: الديوان، (د.ط)، بيروت: دار صادر، (د.ت)، ص8.

⁽⁷⁾ حسان بن ثابت الأنصاري: الديوان، ص227.

ونجد علقمة الفحل يصفها بالدواء الذي يشفي من الصداع، فيقول⁽¹⁾:

(البسيط)

تُشْفِي الصداعَ ولا يُؤْذِيكَ صَالِبُهَا ولا يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَذْوِيمٌ⁽²⁾

وقد عدّها المنخلُ اليشكري رمز السيادة والأمان، واحترام الملوك وتأليهم، وعدّ ترك شربها رمزا للبداءة والشقاء، وفي ذلك قال:

(مجزوء الكامل)

فَإِذَا انْتَشَيْتُ⁽³⁾ فَإِنِّي رَبُّ الْخَوَزْنَقِ وَالسِّدِيرِ⁽⁴⁾

وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ

ومما يدلّ على صدق قولنا ربط الشعراء بين الخمر والأماكن التي تعدّ رمزا للقداسة، مثل القنديل، وكنيسة الراهب، وفي ذلك قال عدي بن زيد⁽⁵⁾:

(الكامل)

بِزَجَاجَةٍ مَلَأَ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا قَنْدِيلُ فِضْحٍ فِي كَنِيسَةٍ رَاهِبٍ

وكانوا يؤدون طقوس السكر في وقت السحر، قبل شروق الشمس أي حينما تظهر نجمة الصباح (عشتار)، ثم ينصرفون، وفي هذا يقول طرفة بن العبد⁽⁶⁾:

(الطويل)

مَتَى تَأْتِينِي أَصْبَحُكَ كَأْساً رَوِيَّةً وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَا غِنًى فَاغْنِ وَارْدِدِ

ويقول ربعة بن مقروم الضّبي⁽⁷⁾:

(الطويل)

وَفَتَيَانِ صَدَقَ قَدْ صَبَحْتُ سُلَافَةً إِذَا الدَّيْكَ فِي جَوْشٍ مِنَ اللَّيْلِ طَرِباً

⁽¹⁾ علقمة الفحل، الديوان، شرحه: الأعلام الشنتمري، حققه: لطفي الصقال، ط14، حلب: دار الكتاب العربي، 1969م، ص69.

⁽²⁾ تدويم: صداع.

⁽³⁾ النشوة: الازدهار.

⁽⁴⁾ الخورنق والسدير: اسمان من أسماء قصور الملوك.

⁽⁵⁾ عدي بن زيد: الديوان، ص194.

⁽⁶⁾ طرفة بن العبد، الديوان، ص31.

⁽⁷⁾ الأصمعي، عبد الملك بن قريظ: الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط5، القاهرة: دار المعارف،

1979م، ص224.

ويقول الحادرة أيضا¹:

(الكامل)

بَكُرُوا عَلَيَّ بِسُخْرَةٍ فَصَبَدْتُهُمْ مِنْ عَاتِقِ كَدَمِ الْغَزَالِ مُشَغَّعٍ
ويرى عنتره الزهرة في كوب الخمرة، حتى أنّ لون الخمرة وكأسها يتخذان نفس لون الزهرة، فيقول²:

(الكامل)

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ
بَرْجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ فَرَيْتُ بِأَزْهَرِ فِي الشَّمَالِ مُقَدَّمِ
وجعلوا أفضل أنواع الخمر وأجودها في بابل، حيث عشتار وهيكل الزهرة، فقال عبيد بن الأبرص³:

(السريع)

ظِلْتُ بِهَا كَأَنِّي شَارِبٌ صَهْبَاءَ مِمَّا عَثَّتْ بِابِلُ
ومن طقوسهم في أمور الخمر، صبّه على القبور، إذ كانوا يجلسون على قبر ميتهم، ثم يطوفون بالخمرة يشربون حتى إذا جاء دوره سكبوا كأسه على قبره؛ إرضاء لروحه، ومثل هذا وصّى حاتم الطائي زوجته، فقال⁴:

(الطويل)

أَمَاوِي، إِمَّا مَتَّ فَاَسْعِي بِنُطْقَةٍ مِنْ الْخَمْرِ رَيًّا فَاَنْضِحَنَّ بِهَا قَبْرِي
فَلَوْ أَنَّ عَيْنَ الْخَمْرِ فِي رَأْسِ شَارِفٍ مِنْ الْأُسْدِ وَزِدْ لَاغْتَلَجْنَا عَلَى الْخَمْرِ
ولنضح القبور بالخمرة بواعث وأسباب، يلخصها لنا الشاعر قيس بن ساعدة في أمرين:
الأول هو أن تذوقها روح الميت، وأما الثاني فهو أن يرطب ثرى قبره، وفي ذلك قال⁵:

(الطويل)

أُصِيبَ عَلَى قَبْرَيْكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ فَإِنْ لَمْ تَذُوقَاهَا ثَرَوْ ثَرَاكُمَا

¹ الحادرة: الديوان، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط2، بيروت: دار صادر، 1982م، ص57.
² عنتره بن شداد: شرح ديوان عنتره، تحقيق عبد النعم رؤوف شلبي، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1980م، ص149.
³ عبيد بن الأبرص: الديوان، تحقيق حسن نصار، ط1، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1957م، ص98.
⁴ حاتم الطائي: الديوان، شرح: يحيى بن مدرك الطائي، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997م، ص93.
⁵ البصري، صدر الدين: الحماسة البصرية، تحقيق مختار الدين أحمد، ط3، بيروت: عالم الكتب، 1983م، ج1، ص215.

المبحث الرابع

قرايين آخر

دأب العرب على تقديم القرايين لآلهتهم، فنجد منهم من يهب كل ما يملك لآلهته، مخصصا لها دون غيرها، فيصبح كل شيء ملكا للآلهة، فتتبارك ممتلكاتهم، ويفوزون برضاها عليهم. ونجد آخرين خصصوا جزءا من أموالهم لآلهتهم، كأن يقدموا تماثيل لأصنامهم، أو بناء أسقف وقباب على قبور موتاهم، أو بناء محرقة لآلهتهم، أو تقديم أباريق وزيادي في المعابد، وسنأتي على هذه القرايين بشيء من التفصيل.

التماثل أو الدمى:

تحدثنا سابقا أنّ الإنسان القديم عرف القرايين كلّها، البشرية والحيوانية والنباتية، ولكن مع مرور الوقت وتقدمه، وامتداد الزمن، ومع التخلص من الهيمنة الفكرية للكهنة، حدث تطور وتحول في تقديم القرايين، حيث أعفي عامة الناس من تقديم هذه الكفارة، وصارت الدمى بديلة عن القريان، سواء أكان بشريا أم حيوانيا.

وقد عرف السومريون والساميون في بلاد ما بين النهرين هذه الظاهرة، وهي ما تسمى بظاهرة البديل، فنجد تموز القتل كان بديلا عن صعود إنانا إلهة الخصب والحب والنماء عند السومريين، إلى السماء بعد موتها، شرط أن ترسل تموزا زوجها بديلا عنها إلى العالم السفلي¹، ومن جملة البديل ذبح شاة تحمل آلام المريض التي سببتها خطيئة مرتكبه.

والإنسان العربي في العصر الجاهلي، جزء من الحضارة الإنسانية، فتأثر بها، ولذلك أخذ يقدّم في بعض الأحيان إلى جانب القرايين البشرية والحيوانية والنباتية بديلها، وهي التماثل التي تكون صوة عن القريان المقدّم للآلهة، فإذا كان القريان المقدم بشريا قدّم تماثلا بشريا، وإذا كان حيوانيا قدّم تماثلا حيوانيا ذكرا كان أو أنثى، ولأن عشتار تجلّت في صورة العزى العربية، التي هي صورة للإلهة

¹ (السواح، فراس: مغامرة العقل الأولى، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1976م، ص50).

الزَّهْرَة؛ فقد شكَّلها الجاهليون بصورة دمية ممثلة الجسم، تلبس الحلي، وتأخذ من جدران المعابد موقعا، بدلا من التضحية ببناتهم.

وأكثر الجاهليون من التماثيل التي تنوب عن القرابين البشرية، إذ لم يقدّم أكثرهم بتقديم أبنائهم قرابين لآلهتهم، وقد وجد في حرم "المقه" كثير من قرابين التماثيل التي كانت تقدم في أثناء الطقوس الدينية، خاصة في مواسم الحج⁽¹⁾.

ونستدلّ على تقديم العرب للدمى والتماثيل - التي اعتلت صدور المعابد - من شعر عدي بن زيد العبادي، حيث يصف الدمية في محراب المعبد، يجليها رجال الدين بماء الذهب، فيقول⁽²⁾:

(الخفيف)

دَمِيَّة شَافَهَا رِجَالٌ نَصَارَى يَوْمَ فَضَحَ بِمَاءِ كَنْزِ مُذَابِ

ويصف امرؤ القيس صورة الدمية المقدّمة قربانا للآلهة، التي تصنع من المرمر، فيقول⁽³⁾:

(الطويل)

كَأَنَّ دُمِي سُقِفَ⁽⁴⁾ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ كَسَا مُزِيدَ السَّاجُومِ وَشِيَا⁽⁵⁾ مُصَوِّرَا

غُرَائِرَ⁽⁶⁾ فِي كِنٍ وَصَوْنٍ وَنِعْمَةٍ يُحَلِّينَ يَأْقُوتَا وَشَذْرَا⁽⁷⁾ مُفَقِّرَا

وهنا تبرز صورة الدمية المقدّمة للآلهة، فهي مصنوعة من المرمر، تُقدّم للمعابد والكنائس، ويظهر لنا أنّ لونها كالجمر يزيّنه اللون المقدّس الذي هو لون دم القرّبان، اللون الأحمر.

كما تظهر صورة الدمي عند بشر بن أبي خازم الذي نسب هذه التماثيل لمدينة صنعاء في اليمن، في قوله⁽⁸⁾:

⁽¹⁾ عبد الله، يوسف: أوراق من تاريخ اليمن وآثاره، دمشق: دار الفكر، 1990م، ص53.

⁽²⁾ عدي بن زيد العبادي: الديوان، ص118.

⁽³⁾ امرؤ القيس بن حجر: الديوان، ص61.

⁽⁴⁾ سُقِف: جبل بديار طيء.

⁽⁵⁾ وشيا: الثياب المحلاة.

⁽⁶⁾ غُرَائِر: لا تجربة لهن.

⁽⁷⁾ شذرا: قطع الذهب.

⁽⁸⁾ بشر بن خازم الأسدي: الديوان، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1994م، ص118.

(الوافر)

كَأَنَّ عَلَى الْحُدُوجِ⁽¹⁾ مُخَذَّرَاتٍ دُمَى صَنْعَاءٍ خُطَّ لَهَا مِثَالُ

ويشبه الشاعر منظر محبوبته وهي على الحدوج مخدرة ناعمة بتمثيل الربة عشتار المنحوتة من العاج، المصنوعة بأيدي فنانين من صنعاء، ونجده في بيت آخر يشبهها بالدمية المضرجة بالزعفران⁽²⁾:

(الطويل)

عُضَارِيطُنَا⁽³⁾ مُسْتَبْطِنُو الْبَيْضِ كَالْدُمَى مُضَرَّجَةٌ بِالزَّعْفَرَانِ جُيُوبُهَا

ولما كانت المرأة في العصر الجاهلي مقدسة، فهي قبس من الأم الكبرى مكثرة النسل والخلق؛ لأن الخصوبة كانت المكون الفكري الرئيس في نظرهم للمرأة الجاهلية، شبهوها بالدمية المقدسة المقدمة في المعابد، فنجد عبيد بن الأبرص يشبه المرأة بالدمية، فيقول⁽⁴⁾:

(الخفيف)

أَوْحِشْتَ بَعْدَ ضُمِّرٍ كَالسَّعَالِي مِنْ بَنَاتِ الْوَجِيهِ أَوْ حَلَابٍ
وَمَرَاكِحٍ وَمُسْرَحٍ وَخُلُولٍ وَرَعَابِيْبٍ كَالْدُمَى وَقَبَابٍ

وتظهر صورة الدمى في شعر أمية بن الصلت، فيقول⁽⁵⁾:

(الوافر)

وَحُورٌ لَا يَرِيْنَ الشَّمْسَ فِيْهَا عَلَى صُورِ الدُّمَى فِيْهَا سُهُومٌ
نَوَاعِمٌ فِي الْأَزَائِكِ قَاصِرَاتٍ فَهْنٌ عَقَائِلٌ وَهْمٌ قُرُومٌ

ويغفر الشاعر بنساء قومه الجميلات الناعمات، وقد شبههن بالدمى المقدمة للمعابد، من حيث الجمال والبياض، فهن يشاكلنهن، وما تبقى من تماثيل في خرائب القدماء⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ الحدوج: هو مركب من مراكب النساء على الإبل.

⁽²⁾ بشر بن خازم: الديوان، ص31.

⁽³⁾ عضاريطنا: الأتباع.

⁽⁴⁾ عبيد بن الأبرص: الديوان، ص36.

⁽⁵⁾ أمية بن الصلت: الديوان، ص121.

⁽⁶⁾ الطيب، عبد الله: المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها، ط1، بيروت: دار الفكر، 1970م، ج3، ص1159.

وقدم الجاهليون الحيوانات قرابين لآلهتهم، وتقربوا بها على شكل تماثيل أيضا، فنجد في بعض الألواح قصة طقس تقديم القرابين بشكل رمزي، ففي المعبد الخامس في مدينة الحضر يظهر الكباش المقرَّب من الإله على لوح من النحت البارز، يمثل ملاكا مجسما يقود كبش الفداء في وضع استعداد للذبح⁽¹⁾.

وللحيوانات المقدمة على هيئة التماثيل أنواع كثيرة، لعل أهمها وأكثرها تقدما الغزلان إضافة إلى الإبل والنوق، فقد عثر على نقش سبئي فيه مجموعة من الجمال البرونزية المقدمة للإله (ذو سماوي)، كما قدمت التماثيل على شكل ثور أيضا خاصة عند عرب الجنوب، وقد كانت في الغالب تماثيل مذهبة، وقدم العرب أيضا قبل الإسلام للآلهة تماثيل الخيول، التي تشمل الفرس والبغال⁽²⁾. ويوظف الشاعر الجاهلي تماثيل الغزلان المقدمة للآلهة - التي توضع في المعابد - في شعره، خاصة وأن الأماكن المقدسة قديما ارتبطت بوجود الغزلان فيها جنبا إلى جنب مع الدمي والتماثيل، فنرى امرأ القيس يربط بين الدمية والطبية، فيقول⁽³⁾:

(الطويل)

تمتّع من الدنيا فإنك فان من النشوات⁽⁴⁾ والنساء الحسان
من البيض كالآرام⁽⁵⁾ والأدم⁽⁶⁾ كالدمى حواصنّها والمُبرقات الرواني

نستشف من البيتين السابقين أنّ الشاعر يبحث عن الخلود النفسي الذي يهدده الموت، ويجده في ممارسة طقوس دينية يستهلّها بشرب الخمر وممارسة الجنس المقدس، وتزداد الصورة قداسة حين يقارب بين النساء والدمى، ويشبههنّ بتماثيل الأطباء الشاخصة في فناء المعابد، التي هي صورة عن الزهرة إلهة الحب والجنس.

الأسقف والقباب:

⁽¹⁾ الدروبي، حافظ: الطقوس الدينية في المعبد الخامس في الحضر، مجلة سومر، مجلد 26، 1970م، ص104.

⁽²⁾ المعاني، سلطان عبد الله: التكريس عند العرب القدماء، ص27.

⁽³⁾ امرؤ القيس: الديوان، ص166.

⁽⁴⁾ النشوات: السكرات.

⁽⁵⁾ الآرام: الأطباء الشديدة البياض.

⁽⁶⁾ الأدم: طباء طوال العنق والقوام، تتميز باختلاط اللونين الأبيض والأسود، فالأخير على ظهرها، والأبيض على بطنها، كالدمى والتماثيل المنحوتة.

كثير ما ضرب العرب الأسقف والقباب على قبور موتاهم؛ لتكون قرابين يتقربون بها من آلهتهم،
ليهنأ موتاهم في العالم الآخر، خاصة وأن العرب تعتقد أن الروح حيّة، تعي وتسمع، تسرّ وتحزن،
مما دفعهم إلى زيارة تلك القبور، والإقامة عليها أياما وشهورا، وفي هذا يقول قس ابن ساعدة الإيادي⁽¹⁾:
(الطويل)

أُقِيمُ عَلَى قَبْرِيكَمَا لَسْتُ بَارِحًا طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكَمَا

ومن هذه الأسقف والقباب المؤقتة جاءت الأضرحة الثابتة ذوات القباب السامقة العالية، كما
نشأت المعابد الثابتة من المعابد المتنقلة والخيام المقدسة عند العبرانيين، وعند العرب الجاهليين،
وعند غيرهم من الشعوب⁽²⁾، وقد مورست الصلاة في تلك القباب، وفي ذلك قال ورقة بن نوفل⁽³⁾:

(الطويل)

أَقُولُ إِذَا صَلَّيْتُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ تَبَارَكْتَ قَدْ أَكْثَرْتُ بِاسْمِكَ دَاعِيَا

وقد أصبحت هذه القبور المسقوفة بمقام بيوت العبادة، فعندها يذبحون، وبها يحلفون، وحولها
يطوفون، وإليها يلجأون طلبا للأمان، لقد قدّس العرب قبور موتاهم حتّى أصبحت مزارات يفدون
عليها، ويقدمون عندها الهدايا والأضاحي والنذور، ومن هذه القبور قبر تميم بن مر، وقبر عامر بن
الطفيل، وقبر جد قبائل قضاة⁽⁴⁾.

الأباريق:

ومن جملة ما قدم العرب لآلهتهم الأباريق، وهي لسكب السائل المقدس⁽⁵⁾، وقد يكون هذا
السائل ماء أو نبيذا أو دما، وهو دم القران المضحى به⁽⁶⁾.

وللأباريق قداسة مستمدة من قداسة الشراب المسكوب فيها، فالإبريق قرين الطبي⁽⁷⁾

⁽¹⁾ البصري، صدر الدين: الحماسة البصرية، ص215.

⁽²⁾ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص176.

⁽³⁾ الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمّد: الأغاني، ط1، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1927م، ج3، ص16.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص176.

⁽⁵⁾ بارو، أندري: سومر فنونها وحضارتها، ترجمة وتعليق عيسى سليمان وسليم التكريتي، بغداد: وزارة الثقافة والفنون، 1977م، ص118.

⁽⁶⁾ هاري، ساكز: عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، ط2، الموصل: جامعة الموصل، 1979م، ص406-407.

⁽⁷⁾ عدّ الجاهليون الطبي حيوانا مقدسا؛ فهو رمز الخلود، والخصب، ينظر: الديك، إحسان: صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي، ط1، فلسطين: مجمع القاسمي للغة العربية، 2013م، ص49-89.

الأبيض المقدّس، المتصومع فوق الجبال، يتحلّى بلباسه الأبيض، يتطيّب بأفضل الرّياحين، وقد تمثّل شعر علقمة الفحل هذه القداسة في قوله⁽¹⁾:

(البسيط)

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُم ظَبِي عَلَى شَرْفٍ⁽²⁾ مَفْدَمٌ⁽³⁾ بِسَبَا⁽⁴⁾ الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ
أَبْيَضُ⁽⁵⁾ أَبْرَزُهُ لِلْضَّحِّ⁽⁶⁾ رَاقِبُهُ مُقَلَّدٌ قُضِبَ الرِّيحَانِ مَفْعُومٌ⁽⁷⁾
وقال آخر مشبها كذلك الأباريق بالظبي⁽⁸⁾:

(الطويل)

كَأَنَّ أَبَارِيْقَ الْمُدَامِ لَدَيْهِمْ ظِبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ⁽⁹⁾ قِيَامٌ
وتتجلّى لنا قداسة الإبريق في شعر الأعشى، فهو مترع بالشّراب لإلهيّ الشّبيه بالدم المشمول بريح
الشّمال الباردة، فقال⁽¹⁰⁾:

(الزّمل)

فَتَرَى إِبْرَقَهُمْ مُسْتَرْعِفًا⁽¹¹⁾ بِشُمُولٍ⁽¹²⁾ صُفِّقَتْ⁽¹³⁾ مِنْ مَاءٍ شَنْ⁽¹⁴⁾
ونجدهم كذلك قدّموا شيئاً شبيهاً من الأباريق، وهي الزّبادي، حيث كانت تستخدم لوضع السوائل
المقدسة فيها، كما استخدموها كمباخر لحرق البخور.

⁽¹⁾ علقمة الفحل: الديوان، شرح: الأعلام الشنتمري، حققه: لطفي الصقال، ط1، حلب: دار الكتاب العربي، 1969م، ص70.

⁽²⁾ شَرْف: مكان مشرف.

⁽³⁾ مَفْدَم: عليه مصفاة.

⁽⁴⁾ السَّبَا: الشّفة البيضاء.

⁽⁵⁾ أَبْيَضُ: من فضة.

⁽⁶⁾ الضَّح: ما طلعت عليه الشمس.

⁽⁷⁾ مَفْعُوم: طيّب الرائحة.

⁽⁸⁾ الزبيدي: تاج العروس، مادة (برق).

⁽⁹⁾ رقمة الوادي: مكان يجتمع فيه الماء.

⁽¹⁰⁾ ديوانه، ص357.

⁽¹¹⁾ المسترعف: المترع كما الرّعاف.

⁽¹²⁾ الشّمول: الخمر الباردة.

⁽¹³⁾ صُفِّقَتْ: مُزِجَتْ.

⁽¹⁴⁾ شَنْ: القزبة التي يرشح ماؤها.

الحليّ والذهب:

أدرك الجاهليون أنهم لن ينالوا البرّ حتى ينفقوا أعزّ ما يملكون، وعليه أخذوا يقدّمون العطايا والهبات كالحلي والذهب والفضّة والقلائد وغيرها للأصنام، وتذكر الأخبار أن في المعابد مواضع خاصة يرمي الزوّار فيها ما يجودون به على المعبد، تكون أمام الصنم في الغالب، وهي بمثابة الخزائن، تُجمع فيها النذور والهبات، فيأخذها السّدنة القائمون على المعبد، وأغلب ما يُرمى فيها الحليّ والمصوغات المصاغة من الذهب والفضة، والأشياء النفيسة الأخرى، كما كانوا يعلقون الألبسة الثمينة والسّيوف على الأصنام، وعلى الأشجار المقدّسة تقرباً منها. ويؤكد ذلك الشاعر كعب بن مالك الأنصاري، فيقول⁽¹⁾:

(الوافر)

وننسى اللات⁽²⁾ والعزى وودًا ونسلبها القلائد والشنوفًا

ونرى أنّ هذه العادة سائدة حتى يومنا هذا، إذ نرى أهل الديانات السماوية يتقربون من الأولياء ومزاراتهم بتعليق قطع من المعادن الثمينة فيها.

ويورد ابن الكلبي خبراً يؤكد أن العرب تقرّبت من آلهتها بالذهب والحليّ، فيذكر أن قريشا أدركت هبل -أعظم الأصنام عندها، المصنوع من عقيق أحمر، ويتخذ صورة الإنسان- وكانت يده مكسورة، فجعلوا له يدا من ذهب⁽³⁾، تقرباً منه وإرضاء له.

⁽¹⁾ ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص63.

⁽²⁾ وقد حارب الإسلام كل هذه المظاهر، فيذكر ابن كثير أن اللات كانت صخرة بيضاء مربعة الشكل عند أهل الطائف، بجانبها مغارة تسمى غبغب، بها توضع الهدايا والهبات والعطايا، وقد أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) المغيرة أن يدمرها، وقد منح أبا سفيان جميع ما بها من هدايا، ليسدّ دين عروة والأسود ابني مسعود، وفي هدم معبد اللات قال شداد الجشمي:

لَا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهَا	وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
إِنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسَّيِّدِ فَاشْتَعَلَتْ	وَلَمْ تُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَذَرُ
إِنَّ الرُّسُولَ مَتَى يَنْزِلَ بِأَدْنَىكُمْ	يَظْعَنُ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

1- ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ج7، ص422. وينظر: علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل

الإسلام، ج7، ص155، وينظر: ج11، ص234.

⁽³⁾ ابن الكلبي: الأصنام، ص28.

الفصل الثالث

مواضع ورود القربان في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: القربان وسفح الدّم

المبحث الثاني: القربان والبغاء المقدس

المبحث الثالث: القربان والخمر

المبحث الرابع: القربان وحلف الأيمان

المبحث الخامس: القربان والنذور

المبحث السادس: القربان والهدايا

المبحث السابع: القربان والترجييب

المبحث الثامن: القربان والحج

المبحث التاسع: القربان وخدمة الصنم

يحتلّ القربان في الشعر الجاهلي مساحات لا بأس بها، فقد ذكره الشعراء الجاهليون في قصائدهم، ليعكس مدى حبهم وإخلاصهم لآلهتهم⁽¹⁾.

والشعراء في ذكرهم له لم يكونوا تسجيليين ومحاكين مقلدين، وإنما صدروا عن الحس الجمعي والعقيدة الدينية السائدة، ولذا جاءت صورهم مكررة؛ فهي محاكاة للواقع وتمثيلاً لها، وإن كان لكل منهم خصوصية معينة في الجزئيات الدقيقة.

(¹) - ذكر الجاهليون أصنام آلهتهم أسماء صريحة، كما هو الحال عند درهم بن زيد الأوسي، حينما قال حالفاً:
 إني ورب العزى السعيدة والله الذي دون بنيه سرف
 - ابن الكلبي، الأصنام، ص19.

- وأقسم بها أبو الطحمان القيني، فقال:
 جزاء سِنَمَارٍ جَزَوْهَا وَرَبِّهَا
 وباللّاتِ والغزى جزاء المكفر
 الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط2، بيروت: دار التراث، 1387هـ، ج2، ص66.

- وأقسم بها أيضاً عمرو بن الجُعَيْد، عندما حلف بـ " اللات"، فقال:
 فَإِنِّي وَتَرَكِي وَضَلُّ كَاسٍ لَكَالَّذِي
 تَبَرَّأَ مِنْ لَاتٍ، وَكَانَ يَدِينُهَا
 ابن الكلبي: الأصنام، ص16.

- وورد ذكر "ذي الشرى" وهو إله لقوم الأزدي، وهم بنو الحارث بن يشكر بن مبشر، وفيه قال شاعر:
 إِذْنٌ لِّحَلَّتْنَا حَوْلَ مَا دُونَ ذِي الشَّرَى
 وشج العدى منا خميس عرمم
 ابن الكلبي، الأصنام، ص37-38.

- وكان لدؤس ثم لبني منهج بن دوس صنمٌ يعبدونه يُعرف بـ "ذي الكَفَيْن"، فلما أسلموا بعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأنفيل بن عمرو الدؤسي فحرقه وهو يقول:
 يَا ذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَ
 وَمِثْلُهَا أَكْبَرُ مِنْ مِثْلِكَ
 وكان لفُضَاعَةَ ولحم وَجْدَامَ وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام يُقال له الأَقْبِصِر، وله يقول زُهَيْرُ بن أبي سلمى:

حَلَفْتُ بِأَنْصَابِ الْأَقْبِصِرِ جَاهِداً
 وحلف الشنفرى الأزدي بأثواب الأَقْبِصِر، فقال:
 وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ جَارَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ
 عَلَيَّ وَأَثْوَابِ الْأَقْبِصِرِ يَغْنَفُ
 الشنفرى الأزدي: الديوان، (الطرائف الأدبية)، صنعه: عبد العزيز الميمي، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937م، ص39.

- وذكر اسم الإله (رضو) وهو أحد الآلهة التَّموديّة، ويعني الرضا والسعد خلاف السخط، في شعر المستوغر الذي هدم بيت رضى، وهو اسم معبد لقبيلة ربيعة بن كعب، حيث قال:
 وَلَقَدْ شَدَّدْتُ عَلَى رِضَاءِ شَدَّةً
 فَتَرَكْتُهَا تَلَا تَنَازُعُ أَسْحَمَا
 وقد ذكر بعض شعراء الجاهلية الإلهة "مناة" معظمين لها، متجهين إليها، لا يولون لها ظهورهم؛ تقديساً لها، وفي ذلك قال الكميت بن زيد بنى أسد:

وَقَدْ آلَتْ قَبَائِلُ لَا تُؤَلِّي
 مَنَاءَ ظُهُورِهَا مُتَحَرِّفِينَا
 علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، ص408.

وعند تتبعنا مواضع ورود القربان في الشعر الجاهلي، وجدنا أنه لم يحظ بقصيدة شعرية كاملة، وكل ما ورد في حنايا موضوعات القصيدة الجاهلية، من خلال أبيات متفرقة لا ترقى لأن تكون قصيدة خاصة بها.

وقد تنوعت مواضع ورود القربان في الشعر الجاهلي، وهذه المواضيع مرتبطة بطبيعة حياتهم.

القربان وسفح الدّم:

للقربان طقوس خاصة بها، وهي الذبح وسفح الدم، وهو طقس يدل على الاستسلام والخضوع والامتثال لأوامر آلهتهم والإخلاص لها، وبخاصة من خلال (الهريق) على الأنصاب، إذ يلجأ مقدّم القربان إلى ذبيحته، فيأخذ من دمها ويسكبه على رأس الصنم، وفي ذلك قال النابغة في الدم المسفوح⁽¹⁾:

(الكامل)

تَمْشِي بِهِمْ أُنْدَمٌ، كَأَنَّ رِحَالَهَا
وَقَالَ النَّابِغَةُ فِي الدَّمِ الْمَسْفُوحِ أَيْضًا⁽³⁾:

(البسيط)

فَلَا لَعْمُرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتُهُ
وَمَا هُرَيْقٌ، عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدٍ
وَأُنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَاصِفًا الدَّمَاءَ الْمَسْفُوكَةَ عِنْدَ الْأَنْصَابِ⁽⁴⁾:

(الوافر)

وَأَنْصَابُ الْأَقْيَاصِ حِينَ أَضَحَتْ
تَسِيلُ عَلَى مَنَاقِبِهَا الدَّمَاءُ
الْقُرْبَانُ وَالْبَغَاءُ الْمَقْدَّسُ:

⁽¹⁾ النابغة الذبياني: الديوان، حققه كرم البستاني، (د.ط)، بيروت: دار صادر، (د.ت)، ص 60.

⁽²⁾ صُور: قطيع من البقر الوحشية.

⁽³⁾ ديوانه، ص 105.

⁽⁴⁾ ابن منظور: لسان العرب، ج 5، ص 104.

لقد انتشرت طقوس البغاء المقدّس عند العرب، إذ نجدهم يطوفون بالبيت عراة، بعد أن يعلقون ملابسهم على شجرة تدعى ذات أنواط، وقد جاء عند الباحثين أنّ العرب قدّسوا من سموهم بنات الله، وكنّ بالدرجة الأولى تمثيلاً للقوى المولدة في الطبيعة⁽¹⁾، وقد ظهرت عند شعراء العصر الجاهلي طقوس البغاء المقدّس، فقال امرؤ القيس⁽²⁾:

(الطويل)

ألا ربّ يوم لكّ منهنّ، صالح ⁽³⁾	ولا سيّما يومٌ بدارة جلجل
ويوم عقرتُ للعذارى مطيّتي	فيا عجباً من رحلها المُتحمّل
فظلّ العذارى يرتمين بلحمها	وشحم كهّداًب الدّمقس المفتل
ويوم دخلتُ الخدر، خدر عنيزة	فقالت: لكّ الويلات إنّك مُرجلي
فقلت لها: سيّري وأرخي زمامه	ولا تبعديني من جَنّاك المعلّل

يظهر لنا عند غدير الماء "دائرة جلجل" مظاهر الاحتفال بطقس البغاء المقدّس كالخمر الذي كان حاضراً، كما يظهر لنا حسّ الشراهة في إشباع الشهوة، فكأنهم يمارسون شعائر احتفالية دينية بسماتها الطقسية المقدسة⁽⁴⁾، وكأنهم يقدمون طقوساً في هيكل الزهرة، حيث تقدم الفتيات أنفسهن لسيدة الحب والجنس والخصب عشتار.

ونجد طقس "البغاء المقدّس" حاضراً في قصيدة أخرى لأمرؤ القيس، حيث يقول⁽⁵⁾:

(الطويل)

وبيت عذارى يوم دجن ⁽⁶⁾ ولجّته	يَظْفَنُ بجَبّاء المرافق ⁽⁷⁾ مِغْسَال
--	--

⁽¹⁾ القمني، سيد محمود: الأسطورة والتراث، ص127.

⁽²⁾ امرؤ القيس: الديوان، ص112.

⁽³⁾ صالح: منال، من نال ينول أي حصل عليه.

⁽⁴⁾ الحسين، قصي: أنثربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام، قراءة تحليلية للأصول الفنية، ط1، طرابلس، لبنان: الأهلية للنشر، 1993م، ص173.

⁽⁵⁾ امرؤ القيس: الديوان، ص126.

⁽⁶⁾ الدّجن: ظلّ الغيوم المنذرة بالمطر.

⁽⁷⁾ بجبّاء المرافق: غائبة المرافق، دلالة على شدة السمنة.

سَبَاطُ الْبَنَانِ⁽¹⁾ وَالْعَرَانِينَ⁽²⁾ وَالْقَنَا⁽³⁾
نَوَاعِمُ يُثْبِعْنَ الْهَوَى سُبُلَ الْمَنَى
لِطَافِ الْخُصُورِ فِي تَمَامٍ وَإِحْمَالٍ
صَرَفْتُ الْهَوَى عَنْهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى
يَقْلُنْ لِأَهْلِ الْحِلْمِ ضُلَّ بَتَضْلَالٍ
وَلَسْتُ بِمَقْلِي الْخِلَالِ وَلَا قَالَ

ويبدو لنا في الأبيات السابقة أنه يمارس طقس عبادة الإلهة الكبرى في معابدها، فهو يتحدث عن النساء المقيمات في بيوت البغاء المقدس، حيث ينتظرن الرجال ليقدمن القرابين لها، وذلك بالتضحية ببكارتهم داخل جدران المعبد، فهو يدخل المعبد ليجامع النساء النواعم الضخمت السمينات، اللاتي من فرط سمنتتهن قد تورأت مرافق أيديهن بين الجلد والشحم، إلا أنه في الوقت نفسه يخشى أن يملكن قلبه، فيقرر الابتعاد عنهن طلباً للنجاة.

وفي معلقة الأعشى أبيات تحتوي على لوحة فنية تحت قبة حمراء، نستدل منها على طقس البغاء المقدس، فيقول⁽⁴⁾:

(مجزوء الكامل)

فِي قُبَّةِ حَمْرَاءَ زَيٍّ
فَدَخَلْتُ إِذْ نَامَ الرَّقِي
نَهَا اثْتَلَقُ طِبَابَهَا⁽⁵⁾
بُ فَبِتُّ دُونَ ثِيَابَهَا⁽⁶⁾
كَالْحُقَّةِ⁽⁷⁾ الصَّفْرَاءِ صَا
عَبِيرَهَا بِمَلَابِهَا⁽⁸⁾
ي أَكْمُهَا بِسَرَابِهَا⁽⁹⁾
وَوَدِيقَةٍ⁽¹⁰⁾ شَهْبَاءَ رَدٍّ

⁽¹⁾ سباط البنان: طوال الأصابع.

⁽²⁾ العرائن: الأنوف.

⁽³⁾ القنا: القامات.

⁽⁴⁾ الأعشى: الديوان، ص 30.

⁽⁵⁾ طبابها: إضاءتها.

⁽⁶⁾ دون ثيابها: قريب من ثيابها.

⁽⁷⁾ الحقّة: وعاء الطيب.

⁽⁸⁾ صاك: لصق.

⁽⁹⁾ بملاها: من الملاط وهو عطر فارسي.

⁽¹⁰⁾ وديقة: الصحراء.

ركدت⁽¹⁾ عليها يومها
حتى إذا ما أوقدت
شمس بحر شهابها⁽²⁾
فالجمر مثل ثرابها

ويظهر لنا أنّ هذه الأبيات تشير إلى طقس البغاء المقدس، من خلال استخدام تركيب "قبة حمراء"، وكأنه يتحدث عن معبد، فالقباب والسقوف والمظلات كلها تدلّ على بيوت عبادة، وفيها كانت تقام طقوس عبادة الربّة الكبرى وتقديم القرابين لها، حيث يدخل إلى القبة الحمراء التي هي خدر عشتار، وزمان عشتار الأحمر، ليعاشر محبوبته "سلمى" المشعة المضيئة بجسدها، القريب من اللون الأصفر، إذ شبه جسدها بلون وعاء الطيب والرياحين، دلالة على مدى قوة التوهج والإضاءة والإشراق والنورانية. وفي شعر طرفة بن العبد تتكرّر صورة البغاء المقدس، فأخذ يرسم صورة محبوبته "هر" التي اشتاق لها كثيرا وأخذ يذوب في حبها، فقال⁽³⁾:

(الرمّل)

جازت البید إلى أزلنا
ثم زارثنی وصخبی
تخلّس الطرف بعیني برغز
ولها كشحا مهة مطفل
وعلى المثنین منها
جأبة المذرى لها ذو جدّة
لا تلمني إنّها من نسوة
آخر الليل بیغفور خدر
في خلیط بین بُردٍ ونمر
وبخدي رشاً آدم غر
تفتري بالرمّل أفنان الزهر
حسن النبت أثیث مُسبكر
تنفض الضّالّ وأفنان السّمُر
رُقد الصّیف مقالیت نُزُر

تبرز الرموز الدينية لتتقاطع وتتحد مع صورة المرأة البغي المقدسة، التي تقوم بطقوسها الليلية، طقوس عشتار فتظهر عناصر الخصوبة والأمومة من خلال الصور التي قسمها الشاعر وبثها بتتابع صورة تلو أخرى، فهي المحبوبة التي تذهب ليلاً لإقامة طقوسها المقدسة لربة الحب واللهو والجنس التي تتجلى ليلاً بكوكب الزهرة.

⁽¹⁾ ركدت: سكنت.

⁽²⁾ بشهابها: شعلة من النار.

⁽³⁾ طرفة بن العبد: الديوان، ص 61-67.

وقد ورد في الأبيات السابقة الكثير من الرموز الدينية، التي تدل على قداسة الطقس المقدس الذي تقوم به محبوبته "هر"، إذ شبه عيونها بعيون البقرة الوحشية في شدة السواد والبياض، وهي كالمهاة المطفلة، دلالة على خصوبتها، يغطيها اللونان الأسود والأبيض، فكأنه يصف عشتار بوجهيها ربة الحب وربة الحرب، وعدم ثباتها على حال وسرعة تقلبها، وهي امرأة غر صافية البياض، تمتلئ بالخصوبة لدرجة أنها تفيض بخصوبتها ونمائها على ما حولها من الأشجار والنبات، وقد تكلمت بقرني المهاة، اللذين برمزان لقرني عشتار.

ومن الأبيات السابقة جميعها نشعر أنّ محبوبه الشاعر لم تكن سوى دُمية مقدّسة في معبد، يتحلّق حولها السامرون، في احتفال أو عيد وكأنهم يحيون شعيرة مقدّسة، فالشاعر الجاهليّ يقدّم لنا محبوبته كرمز من الرموز الأنثوية التي تفيض خصوبة ونماء، فالجنس عندهم واجب مقدّس لا يدنس بالزواج⁽¹⁾.

القُرْبَان والخمر:

لقد عرف عرب الجاهليّة الخمر وشربوها، ولم يقف الأمر إلى ذلك فحسب بل وصفوها شعرا، وجلوها مقدمات لأشعارهم، وافتخروا بها وبشاربها، فهو شراب شائع مستساغ عندهم، له أسماؤه وأوانيه وحناناته وشعره، وأوقات شربه حتى سمّوا شربها غُدوة بالصُّبوح⁽²⁾.

وقد اعتبروا الخمر "شراب الحياة" كما هو الخبز "مادّة الحياة"، وإذا عدنا إلى الحضارات السامية السابقة نجد لطقوس شرب الخمر أبعادا رمزية، فهي التي تردّ الروح إلى الجسد، والنور إلى الوجه، والانشراح إلى الصدر، وهذا ما عبّرت عنه البغي "شمخة" لأنكيدو، فقالت⁽³⁾:

كل الخبز يا أنكيدو فإنه مادّة الحياة

واشرب من الشراب القوي فهذه عادة البلاد

فأكل أنكيدو من الخبز حتى شبع

وشرب من الشراب القوية سبعة أقداح

⁽¹⁾ الحسين، قصي: أنثربولوجية الصورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص186.

⁽²⁾ الصُّبوح: ما أصبح عندهم من شراب فشربوه، وهو خلاف الغُبوق.

ينظر: ابن منظور: لسان العرب ، مادة (صبح).

⁽³⁾ البُهيّتي، نجيب محمد: الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987م، ص480.

فانطلقت روحه وانشرح صدره، وطرب لبه، ونور وجهه

وعليه وُجب على الإنسان شرب الخمر، وهي رمز من رموز القربان والتضحية، حيث يُتقرب بها إلى الآلهة حتى ترضى، وبعد الذبح يصلّى عليها، وفي ذلك قال الأعشى⁽¹⁾:

(الطويل)

لها حارسٌ ما يبرح الدهرَ يَبْتَهَا إذا دُبِحَتْ صُلَى عليها وَزَمَما
وُيُشِّيهِ الأعشى الخمرة بدم الذبيح لقداستها، فيقول⁽²⁾:

(الكامل)

وسببيةٌ مما تُعَتِّقُ بابلٌ كدم الذبيح سلبتها جريالها
وقال الأعشى في المعنى نفسه⁽³⁾:

(مجزوء الكامل)

ولقد شربْتُ الخمرَ تر كُضْ حَوْلَنَا تُرْكٌ⁽⁴⁾ وَكَابُلُ
كدم الذبيح غريبة⁽⁵⁾ مما يُعَتِّقُ أَهْلُ بابلِ
وقال حسّان بن ثابت أيضا⁽⁶⁾:

(الوافر)

كالمِسْكِ تَخْلُطُهُ بِماءِ سَحَابَةٍ أَوْ عَاتِقِ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ
وقال أبو ذؤيب الهذلي شاركا الشعراء السابقين بأن رَمَزَ إلى الخمرة بدم الْوَدَجِ، فقال⁽⁷⁾:

(الكامل)

إذا فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا وَفُكَّتْ يُقَالُ لَهَا دَمُ الْوَدَجِ الذَّبِيحِ

⁽¹⁾ الأعشى: الديوان، ص333.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص111.

⁽³⁾ الأعشى: الديوان، ص56.

⁽⁴⁾ التُّرْكُ: النَّاسُ الَّذِينَ سَكَنُوا حَوْضَ نَهْرِ "سِيجُون وَجِيجُون" شَمَالَ فَارِسَ.

⁽⁵⁾ غَرِيبَةٌ: مَنْقُولَةٌ مِنْ مَوْطِنِهَا.

⁽⁶⁾ حسّان بن ثابت الأنصاري: الديوان، ص214.

⁽⁷⁾ أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، حققه الدكتور أنطونيوس بطرس، ط1، بيروت: دار صادر، 2003م، ص69.

وقد شبهها بدم الغزال زهير بن أبي سلمى، فقال⁽¹⁾:

(المنسرح)

مِثْلِ دَمِ الشَّادِنِ⁽²⁾ الذَّبِيحِ، إِذَا أَتَأَقَّ⁽³⁾، مِنْهَا الزَّأْوُوقُ⁽⁴⁾ شَارِبُهَا

يظهر لنا من الأبيات السابقة أن تشبيه الشعراء الخمرة بدم الذبيح من المخزون الشعوري الجمعي لديهم، وهذا يعني أننا لسنا أمام موقف فني فردي، وإنما نحن أمام طقس جمعي. لقد كانت الخمرة شراباً إلهياً مقدساً، فهو دم الإله الذي صرع، يشربه عبده لتحلّ فيهم روحه وقواه في احتفالات تمثل مصرعه وقيامه من بين الأموات⁽⁵⁾.

ونلاحظ أن الخمرة لا تزال حتى يومنا هذا، تُشرب في ممارسة دينية في بعض الأعياد اليهودية والمسيحية ممثلة بدم الإله، ففي الأعياد تحيا ذكرى موته، ومن لا يشربها بهذه الصفة لا يعدّ من المؤمنين⁽⁶⁾.

القربان وحلف الأيمان:

وقد كان العرب يحلفون بالقرايين التي يقدمونها لآلهتهم، وهذا يدل على مدى تعظيم القرايين، فهو أمر مقدّس، وله مكانته الكبيرة في حياة الجاهليين، ومن ذلك حلف أمية بن الأسكر⁽⁷⁾:

(الرجز)

إِذَا لَقِيتَ رَاعِيَيْنِ فِي غَنَمٍ أَسَيِّدَيْنِ يَحْلِفَانِ بِنُحْمٍ
بَيْنَهُمَا أَشْلَاءُ لَحْمٍ مُقْتَسَمٍ فَاْمُضْ، وَلَا يَأْخُذْكَ بِاللَّحْمِ الْقَرْمُ!

⁽¹⁾ زهير بن أبي سلمى: الديوان، صنفه أبو العباس ثعلب، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004م، ص195.

⁽²⁾ الشّادِن: الغزال القويّ.

⁽³⁾ أَتَأَقَّ: أَمَلَأَ.

⁽⁴⁾ الزَّأْوُوق: الكرابيس، وهي عبارة عن مصفاة من ثوب أبيض مصنوع من القطن.

⁽⁵⁾ النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ط1، القاهرة: دار سينا للنشر، 1995م، ص235.

⁽⁶⁾ عبد الرحمن، نصرت: الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي، (د، ط)، عمان: دار الفكر، 1976م، ص90.

⁽⁷⁾ ابن الكلبي: الأصنام، ص40.

كما عَظَّمُوا "العَبَّاب" وهو المكان الذي تتحر فيه القرابين وتقدم لآلهتهم، فحلفوا به، فقال
نُهَيْكَةُ الْفَزَارِيِّ⁽¹⁾:

(الكامل)

يا عام⁽²⁾! لو قَدَرْتُ عَلَيْكَ رَمَاحَنَا وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى مَنْى فَالْغَبْغَبِ!
كما حلفوا في حالة الأنصاب المسفوح بينها الدَّم، أي في أثناء تقديم القرابين، وفي ذلك قال طرفة بن
العبد معتذرا لعمر بن هند نافيا أن يكون قد هجاه⁽³⁾:

(الكامل)

إني وجدّك، ما هجوْتُكَ، والنَّـ أَنْصَابٍ يُسْفَحُ بَيْنَهُنَّ دَمٌ
وأقسم المتلمّس بها أيضا، فقال⁽⁴⁾:

(الكامل)

أطردتني حذر الهجاء ولا وَاللَّاتِ وَالْأَنْصَابِ لَا تُلْ
وحلف أبو طالب بذى الأنصاب، وذلك عندما همّ عبد المطلب بذبح ابنه عبد الله إيفاء لنذره إن رزقه
الله عشرة أولاد ذبح واحدا منهم، فقال⁽⁵⁾:

(الرجز)

كلا ورب البيت ذي الأنصاب
ما ذَبَحُ عبد الله بالتَّلْعَابِ
يل شيب⁽⁶⁾ إنَّ الرِّيحَ ذُو عِقَابِ
وقال طرفة بن العبد أيضا⁽⁷⁾:

(الطويل)

وَقَرَّبْتُ بِالْقَرْبَى، وَجَدَّكَ إِنِّي مَتَى يَكُ أَمْرٌ لِلنَّكِيَّةِ أَشْهَدُ

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 21.

⁽²⁾ يا عام: المقصود بهذا النداء عامر بن الطفيل.

⁽³⁾ ديوانه، ص 89.

⁽⁴⁾ ابن الكلبي: الأصنام، ص 16.

⁽⁵⁾ ديوانه، ص 23.

⁽⁶⁾ يا شيب: منادى مَرَّحٌ لشبية وهو اسم لعبد المطلب.

⁽⁷⁾ ديوانه، ص 112.

وكذلك حلف السموأل بن عاديا بالقربان، فقال⁽¹⁾:

(الطويل)

من النار والقربان والمحن التي لها استسلموا حُبَّ الغلى المتكامل
كما حلفوا برب الداميات، والأخيرة هي الإبل التي نحرت تقربا للآلهة، وفي ذلك قال بشر بن أبي
خازم الأسدي⁽²⁾:

(الطويل)

حلفتُ برب الداميات نُحورُها وما ضَمَّ أجوازُ الجِواءِ ومِذْنَبُ
القربان والنذور:

تعدّ النذور شكلا من أشكال التقرب للآلهة، وهي مقدمة للأرباب بشكل جبلي، ويرجع ذلك
لعامل الإخلاص والوفاء بها، والنذر وعد مشروط، فلا يقدم الجاهلي ضحيته التي وعد ربه بها إلا
إذا حقق له مبتغاه، وهو بمثابة العقد المقدس بين الناذر والآلهة، وللعبد أن ينذر ما يشاء، كأن ينذر
ذبيحة، أو مجموعة من الذبائح، أو قربانا بشريا⁽³⁾، أو ما في بطون الإنسان أو الحيوان، أو أرضا،
أو زرعاً، أو اعتكافاً أو مواهب أو أسماء أو ربيضا وهو نذر الابن لخدمة بيت الصنم إذا عاش.
وقد ورد ذكر الرّبيض في شعر الحارث بن حلزة اليشكري، فقال⁽⁴⁾:

(الخفيف)

عَنَّا⁽⁵⁾ باطلا وظُلما كما عن حُجرة الرّبيض الظّباء

⁽¹⁾ ديوانه، ص 63.

⁽²⁾ ديوانه، ص 24.

⁽³⁾ ولهذه الطقوس جذور أسطورية مغلطة في القدم، فقد كانت عادة تقديم القرابين باختلاف أنواعها سائدة عند كل الشعوب القديمة، ومن ذلك أن "أشور بانيال" ملك آشور يفخر بأنه حرق بالنار ثلاثة آلاف أسير بقرابين جنائزية، حتى يدخل السرور على قلب الآلهة العظام.

ينظر: ديورانت، ول: قصة الحضارة، مجلد 2، ج 2، ص 56.

⁽⁴⁾ ديوانه، ص 36.

⁽⁵⁾ عَنَّا: اعتراضاً.

ونستدلّ من البيت السّابق أن من شروط صحة النذر الصدق والوفاء كميّة ونوعاً، ولا يجوز التملص من النذر واستبداله بشيء آخر، فمثلاً لا يجوز استبدال عتائر الأغنام بالظباء، وهذا ما قصده الحارث بن حلّزة.

ونجد بيتاً آخر لكعب بن زهير يؤكّد ما ذهب إليه الحارث بن حلّزة، من أنّ العرب كانوا يذرون للصنم ناقة أو شاة، فإذا حان وقت الوفاء بالنذر، اصطادوا ظبياً عوضاً عن الناقة أو الشاة، وقدموها قرباناً للآلهة، فيقول⁽¹⁾:

(الوافر)

فَمَا عُتِرَ الظِّبَاءُ بِحَيِّ كَعْبٍ وَلَا الْأَحْمُسُونَ قَصَرَ طَالِبُوهَا

وقد كانت الناسكات المتعبدات يجلسن طويلاً وينتظرن هذا النذر، لدرجة أنّ رؤوسهن امتلأت بالغبار؛ وذلك من شدّة حاجتهم للنذر، وفي ذلك قال لبيد بن ربيعة⁽²⁾:

(الرجز)

تَوَجَّسُ النُّبُوحُ شُعْثًا غُبْرًا

كَالنَّاسِكَاتِ يَنْتَظِرْنَ النَّذْرَا

وممّا يدخل في جملة النذور، نذر عبد المطلب الذي كان ينوي ذبح أحد أولاده إذا رزقه ربّه بعشرة أولاد سالمين ورأهم رجالاً، وفي ذلك قال⁽³⁾:

(الرجز)

عَاهَدْتُ رَبِّي، وَأَنَا مَوْفَّ عَهْدِهِ

أَخَافُ رَبِّي إِنْ تَرَكْتُ وَعْدَهُ

⁽¹⁾ أبو تمام حبيب بن أوس: ديوان الحماسة، شرحه وعلق عليه: أحمد حسن بسج، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م، ص177.

وهذا الكلام كناية عن الوفاء بالنذر وعدم التقصير فيه وذلك أن بعض العرب كان يقول إذا بلغت غنمي كذا من العدد ذبحت منها شاة أو شياها وأطعمها المساكين فإذا بلغت غنمه تلك العدد ضن بها وكره ألا يوفي بالنذر فاصطاد ظبياً أو ظباء فذبحها عن الغنم والمعنى ليس الأمر في هذه الواقعة كمن نذر شيئاً ثم وفي بغيره فإن أصحابك لم يذبحوا الظباء بدل الرجال ولم يقصروا في إيفاء نذرك بل قتلوا خمسين كما نذرت

⁽²⁾ لبيد بن ربيعة: الديوان، ص75.

⁽³⁾ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص208.

والله لا يحمد شيء حمده

القربان والهدايا:

عمد الجاهليون إلى تقديم الهدايا والهذي لآلهتهم بهدف التقرب والتودد والتحبب منها، فلا يحول بين الهذي ومقدمه سوى الموت، كيف لا؟ وقد كان هذا العمل مقدسا لديهم، فهم يقدسون القربان المهدى، وكذلك يقدسون مقدّم القربان، وفي ذلك قال بشر بن أبي خازم الأسدي⁽¹⁾:

(الطويل)

وجنبئها⁽²⁾ قرآن⁽³⁾؛ إن لأهلها علي هديا أو أموت فأقبرا
فالحكم الديني للهذي فرض على مقدمه، وله حرمة كحرمة الحفاظ على الجار، ويمنع أسر مقدم الهذي أو العبث في الهدايا المقدّمة، وفي ذلك الحكم والحرمة قال زهير بن أبي سلمى⁽⁴⁾:

(الوافر)

فلم أر مغشرا، أسروا هديا ولم أر جار بيت يُستبأ⁽⁵⁾
ويذكر الأزرقى أنّ العرب في الجاهلية كانت تهدي لخزانة هبل -أكثر أصنام قريش تعظيما- مائة بعير، وعندما يأتونه (هبل) يضربون القداح ويقولون⁽⁶⁾:

(الوافر)

ثلاثة يا هبل فصاحا الميت والعذرة والنكاحا
والبرء في المرضى والصحاحا إن لم تقله فمر القداحا
إنا اختلفنا فهب السراحا

القربان والترجيب:

⁽¹⁾ بشر بن أبي خازم الأسدي: الديوان، ص78.

⁽²⁾ جنبئها: الخيل.

⁽³⁾ قرآن: اسم موقع مقدس.

⁽⁴⁾ ديوانه، ص85.

⁽⁵⁾ يُستبأ: يتخذُ زوجة جاره أهلا.

⁽⁶⁾ الأزرقى: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج1، ص119.

والترجيب أو الرجبية مأخوذة من اسم شهر رجب، وهو شهر محرّم الصيد فيه، لذلك كُثِرَ فيه الذبائح والعتائر، حيث يتوجب على الإنسان أن يقدم أعز ما يملك لآلهته، وهي كلمة واسعة، تشمل كل ما يذبح ويقدم للآلهة، فمن نذر نذرا يوفيه في شهر رجب، ومن أراد أن يذبح ذبيحة بصرف النظر عن نوعها، يؤجّل ذبحها إلى شهر رجب.

فأيّام الترجيب والتعتير مليئة بالذبائح التي تسير وفق خطوات دقيقة، إذ تساق الذبائح إلى الأصنام، وقد ميّزوها بالقلائد والسيور، ثم التسمية باسم الصنم المقدم له، ثم يبين صاحب القران سبب الذبح وغرضه، ثم تُذبح ويلطّخ قته الصنم، أي أعلاه بدم القران⁽¹⁾، وقد ذكر ذلك عمرو بن عبد الجن الفارسي الجاهلي، فقال⁽²⁾:

(الطويل)

أما ودماءٍ مائراتٍ تخالها على قُتّة الغزى أو النسر عندما
وفي ذلك قال سلامة بن جندل⁽³⁾:

(البسيط)

والعاديّاتُ، أسابيّ الدماءِ بها كأنّ أعناقها أنصابُ ترّجيبٍ
يشبه الشاعر أعناق الخيل بالحجارة (الأنصاب) التي تذبح عليها القرابين في شهر رجب، لما عليها من الدماء.

القران والحج:

لا شكّ أن معظم العرب في الجاهليّة كانوا يعظّمون البيت الحرام بمكة، فكانوا يحجّون إليه في شهر محدّد من السنة، وفي أيام معلومات، وقد انتقلت إليهم مناسك الحج⁽⁴⁾ ومشاعره من الديانة

⁽¹⁾ علي، جواد: المفصل في أديان العرب قبل الإسلام، ط1، القاهرة: دار الشعام، 2004م، ص173.

⁽²⁾ ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة (أبل).

⁽³⁾ سلامة بن جندل: الديوان، صنعه: محمد بن الحسن الأحول، ط1، بيروت: دار الكتاب العرب، 1994م، ص13.

⁽⁴⁾ ويبدو لنا أن الحج سواء كان في زمن سيدنا إبراهيم أو في زمن العصر الجاهلي أو في زماننا اليوم هو نفسه مع اختلافات بسيطة جدا - خلا طقوس الجنس المقدّس - ونستدلّ على ذلك من قول الله سبحانه في القرآن الكريم: " وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ". (الحج، الآية: 27)، فحال الحجاج المسلمين في الآية السابقة يشبه إلى حد كبير

الحنيفة التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام، فتمسكوا بمعظم سننها، وراعوا حرمتها، خاصة الوقوف على عرفات والمزدلفة ومنى، وذبح القرابين والهدايا والعتائر.

وقد كان الحجاج يأتون إلى الكعبة من حِراء في شهر ذي الحجة بقصد التعبد والتقرب من آلهتهم، وكانوا يحضرون معهم الهدايا والقرابين، إذ لا يستقيم السير إلى مكة إلا إذا وافق الهدي، فكان الحجاج يسوقون أمامهم هدياً، بذناً مختارة للنحر؛ حتى توزع على الفقراء الذين هم في أشد الحاجة إليها، وفي ذلك قال عوف بن الأحوص⁽¹⁾:

(الوافر)

وَإِنِّي وَالَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ مَحَارِمُهُ وَمَا جَمَعَتْ حِراءُ
وَشَهْرَ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْهِدَايَا إِذَا حُبِسَتْ مُضَرَّجَهَا الدَّمَاءُ

وعلى كل حاج أن يشعر⁽²⁾ هديه، وذلك بشق جلد الهدي، أو طعنها في أسنمتها في أحد الجانبين، أو طعنها في سنامها الأيمن حتى يظهر الدم ويُعلم أنه هدي⁽³⁾، أو جَزَّ سنامها فيسيل منه الدم فيُعرف أنها هدي، وأشعروا بتعليق القلائد على أسنمة الهدي وأعناقها⁽⁴⁾.

حال الحجيج عند العرب الجاهليين، حيث كانوا يأتون على ضُمر في الميس، من عكاظ، والمجنة، وذي المجاز، وهم في حالة إحرام، وجاء عند الأزرقي أن العرب كانت تقول: " لا تحضروا سوق عكاظ، ومجنة، وذا المجاز إلا محرمين بالحج"، وفي ذلك قال عبيد بن العزى السلامي:

(الطويل)

على ضُمر في الميس يَنْفُذْنَ فِي الْبَرَى إِذَا شَابِكَتْ أَثْيَابُهَا الْجُنَّ تَصْرِفُ

ينظر: الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج1، ص67. وينظر: الجبوري، يحيى: قصائد جاهلية نادرة، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988م، ص126.

⁽¹⁾ الضبي، محمد بن يعلى بن عامر: المفضليات، تحقيق الدكتور قصي الحسين، الطبعة الأخيرة، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2004م، ص102.

⁽²⁾ الإشعار: وهو علامة مختصة في الأنعام للتمييز، وإشارة عبور من عالم الطبيعة والدنس إلى عالم الدين، عالم القدس.

⁽³⁾ ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (شعر).

⁽⁴⁾ تذكر كتب السير أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) أشعر بنفسه بُذنة السبعين، وهي موجهة إلى القبلة، فطعنها في الشق الأيمن وجلَّها وقلَّدها نعلا نعلا.

ينظر: الواقدي، محمد بن عمر: كتاب المغازي، بيروت: عالم الكتب، 1965م، ج2، ص573.

ويذكر القرطبي أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تقول: " أنا قتلْتُ قلائد هُدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيدي، فتلَّت قلائدها من عهن كان عندي، ثم قلَّدها بيديه".

وكان العرب يقفون على جبل عرفة في التاسع من شهر ذي الحجة، وقد قال أحيحة بن الجلاح في ذلك⁽¹⁾:

(الطويل)

وَقَدْ حَلَفْتُ وَالسَّيْثُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا بَرَبِّ حَجِيحٍ قَدْ أَهَلُّوا⁽²⁾ وَعَرَفُوا
وقال أبو طالب في الوقوف بعرفة⁽³⁾:

(الطويل)

وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ إِلَّا⁽⁴⁾ إِلَى مَفْضَى⁽⁵⁾ الشِّرَاجِ الْقَوَابِلِ⁽⁶⁾
وَتَوْقَافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً يُقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَابِلِ
ويعدّ هذا اليوم يوم دعاء وذبح ونحر عتائر، فلا حجّ دون إراقة الدماء، ويظهر ذلك جليا في تلبية بني كنانة، التي كانت⁽⁷⁾:

لبيك اللهم لبيك

اليوم يوم التعريف

يوم الدعاء والوقوف

وذبي صباح الدماء

من شجها والنزيف

وكانوا يذبحون الذبائح أو الهدي في منى، بعد الإفاضة إليها، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ العرب جميعا كانت تعظم منى التي هي مشتقة من "مناة"، وكانوا يذبحون حولها أو إليها، وأنّ لم

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الفكر، 1993م، ج3، ص6، ص12-13.

⁽¹⁾ الجبوري، يحيى: قصائد جاهلية نادرة، ص126.

⁽²⁾ أهّلوا: رفعوا أصواتهم بالتلبية عند الحج.

⁽³⁾ ديوانه، ص65.

⁽⁴⁾ إلّا: جبل من جبال عرفة.

⁽⁵⁾ مفضى: منتهى.

⁽⁶⁾ القوابل: المتقابلة.

⁽⁷⁾ قطرب، محمد بن المستنير: كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية، تص118.

يكن أحداً أشد إعظاما لها من "الأوس والخزرج"⁽¹⁾، ويبدو لنا أنّ هذه العتائر والذبائح كانت تذبح إلى مناة عند طقوس البغاء المقدّس، ولعلّ مناة سمّيت بهذا الاسم؛ لارتباطها بالمنّي الذي هو ماء الرجل، فكانوا يذبحون ويسفكون الدّماء لزيادة النسل في الإنسان والطبيعة، ومباركة في البغاء المقدّس بإراقة سائل الحياة.

وفيهما قال الشاعر⁽²⁾:

(الطويل)

إِذَا مَا أَجَازَتْ صَوْفَةً⁽³⁾ النَّقْبَ مِنْ مَنَى وَلَا حَ قَتَارُ فَوْقَهُ سَفْعُ الدَّمِ

وفي الذبح قال زهير بن أبي سلمى واصفا العتائر "شعائر القربان" والدّماء المنصبة على رؤوس الأصنام⁽⁴⁾ بغية استرضاء الآلهة⁽⁵⁾:

(البسيط)

فَرَلَّ عَنْهَا، وَأَوْفَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ كَمَنْصِبِ الْعَتْرِ دَمَى رَأْسِهِ النَّسْكَ
وقال نهيكة الفزاري في سوق البُدن للذّبح⁽⁶⁾:

(الرجز)

أُسُوقُ بُدْنِي، مُحَقَّبًا أَنْصَابِي هَلْ لِي مِنْ قَوْمِي مِنْ أَرْبَابِ؟

⁽¹⁾ نستدلّ على ذلك من خلال خبر ابن الكلبي أنّ الأوس والخزرج "الحلة" لم يختصوا وحدهم بتقديم العتائر إلى مناة وتعظيمهم لها.

ينظر: ابن الكلبي: الأصنام، ص 43-44.

⁽²⁾ علي، جواد: المفصل في أديان العرب قبل الإسلام، ص 336.

⁽³⁾ صَوْفَةٌ: حي من أحياء مصر، كانت تخرُج أحد رجالها، ويقول: أجيزي صوفة، فإذا جازت، قال: أجيزي خندف، فإذا أجازت أذن للناس في الإجازة.

ينظر: علي، جواد: المفصل في أديان العرب قبل الإسلام، ص 336.

⁽⁴⁾ ديوانه، ص 144.

⁽⁵⁾ زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص 144.

⁽⁶⁾ ابن الكلبي، الأصنام، ص 42.

ويُعرف يوم الذبح بيوم النَّحر، أو بيوم التشريق، حيث يقوم الحجاج بتشريق لحوم الأضاحي، والأخيرة تعني تقطيع اللحوم إلى قطع صغيرة ثم يعرضونها للشمس، ومن ثم توزيعها، وفي ذلك قال أبو طالب⁽¹⁾:

(الطويل)

وَبِالْحَجِّ أَوْ بِالنَّيْبِ تَذْمَى نُحُورُهَا بِمَدْمَاهُ وَالرَّكْنِ الْعَتِيقِ الْمُقْبَلِ
تَنَالُونَهُ أَوْ تَغْطِفُوا دُونَ نَيْلِهِ صَوَارِمُ تَفْرِي كُلَّ عَظْمٍ وَمَقْصِلِ
القربان وخدمة الصنم:

تعد خدمة الصنم من وسائل التقرب إلى الآلهة، وكان عرب الجاهلية يسمون من يقومون على خدمته بالسدنة، والسدانة طقس مقدس، وعبادة لصاحب الخدمة، وهو شرف عظيم للعائلة، ويتعاقب هذا الشرف جيل تلو جيل عن طريق الوراثة.

وقد كان من الوظائف التي تلحق بالسدنة الضيافة والسقاية، إذ يقدمون للحجاج الطعام والشراب وقت الصباح، وكان للسدنة مقابل هذا العمل الحق في اجتناء القرايين والأضاحي والندور والاستفادة منها، وفي ذلك قال أبو خراش الهذلي⁽²⁾:

(البسيط)

مَا لِدُبْيَةٍ مُنْذُ الْيَوْمِ لَمْ أَرَهُ وَسَطَ الشُّرُوبِ وَلَمْ يُلْمَمْ وَلَمْ يَطْفِ
لَوْ كَانَ حَيًّا، لَعَادَاهُمْ بِمُتْرَعَةٍ مِنْ الرِّوَايِقِ مَنْ شِيزَى بَنِي الْهَظْفِ

والسقاية رديفة للسدانة، إذ كانوا يسقون الحجاج الماء، وكان للماء مقصد آخر غير الشرب هو الطهارة، كما نقعوا بالماء الزبيب لسقاية الحجاج، كما قدموا لهم اللبن والعسل، وفي ذلك قال أبو طالب⁽³⁾:

(مجزوء الكامل)

⁽¹⁾ ديوانه، ص 76.

⁽²⁾ الهذليون: الديوان، (د.ط)، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م، ج 2، ص 155.

⁽³⁾ أبو طالب: الديوان، شرحه الدكتور محمد التونسي، ط 2، بيروت: دار الفكر العربي، 1997م، ص 36.

ولنا السقاية للحجي ج بها يُماتُ⁽¹⁾ العُنْجُدُ⁽²⁾

ولقد كانت مهنة السقاية مهنة مقدسة، خاصة وأنها مهنة تقربهم من آلهتهم، وبها يحصلون على الرضا، ولذلك كانوا يتفاخرون بمهنتهم، وذكر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "ألا إن كل مكرمة كانت في الجاهلية، فقد جعلتها تحت قدمي، إلا السقاية والسدانة"⁽³⁾، وهذه المكرمات هي من مآثر العرب في الجاهلية، مكارمها وتفاخرها التي تؤثر عنها، وهذا ما نجده عند أبي طالب، الذي قال⁽⁴⁾:

(المتقارب)

نَمَانِي⁽⁵⁾ شَيْبَةً⁽⁶⁾ سَاقِي الْحَجِيجِ وَمَجْدُ مُنِيفِ الدُّرَى مُعْلَمٌ⁽⁷⁾

وقال أيضا أبو طالب مفتخرا⁽⁸⁾:

(الطويل)

وَكَاَنَّ لَنَا حَوْضُ السَّقَايَةِ فِيهِمْ وَنَحْنُ الدُّرَى مِنْهُمْ وَفَوْقَ الْكَوَاهِلِ

ومن الأعمال التي يقوم بها السدنة تقربا إلى الآلهة أيضا كسوة الكعبة⁽⁹⁾، فكان أول من كساها تبّع أسعد الجُمَيْرِيّ، إذ كساها بالحبرة، والوصايل، والبرود اليمنية، وكانت تُكسى عادة يوم عاشوراء ويوم التروية بالديباج، فيعلق عليها القميص ولا يخاط حتى انصراف الناس من منى، ثم يُخاط ويُترك الإزار، وفي هذا العمل قال أسعد الجُمَيْرِيّ⁽¹⁰⁾:

⁽¹⁾ يُمَاتُ: يُذَابُ.

⁽²⁾ العُنْجُدُ: الزبيب.

⁽³⁾ علي، جواد: المفصل في أديان العرب قبل الإسلام، ج1، ص209.

⁽⁴⁾ ديوانه، ص82.

⁽⁵⁾ نَمَانِي: رفعني.

⁽⁶⁾ شَيْبَةٌ: عبد المطلب.

⁽⁷⁾ مُعْلَمٌ: واضح.

⁽⁸⁾ ديوانه، ص70.

⁽⁹⁾ الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج1، ص249.

⁽¹⁰⁾ المرجع نفسه، ص250.

(الخفيف)

هُ مَلَاءٌ وَمُعْضَدَا وَبِرُودَا
وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدَا

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ الـ
وَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرَا

الخاتمة

بعد أن عرضنا موضوع القرابين وتطورها، لابدّ من الوقوف على بعض النتائج والاستنتاجات التي خلص إليها البحث، وأهمها:

- 1- قدّمت كل أمم الأرض القرابين على اختلافها، وقد تبوّأت موقعا ساميا في الديانات كافة، إذ لا يخلو طقس من الطقوس الدينية من قربان يدفعه العبد إلى ربه، وكان الهدف منها متنوعا مثل الحصول على رحمة الإله أو شكره على خير ما، أو للتوسل إليه من أجل نيل أمر ما، أو حتى للتكفير عن ذنبه وخطاياها.
- 2- شهدت القرابين تطورا ملحوظا؛ فتدرجت من القرابين البشرية، إلى القرابين الحيوانية ثمّ القرابين النباتية.
- 3- مثل قربان إبراهيم - عليه السلام - نقطة تحول في تاريخ الشعوب، فأصبح الإنسان مقدسا ولا يجوز التضحية به، واستبدلوا عنه بالقربان الحيواني الذي هو فداء البشر.
- 4- لم تكن القرابين تقدم بصورة عفوية بل تحكمها طقوس خاصة، يكون للكهنة فيها الدور الأساسي.
- 5- كان للعصر الجاهلي كغيره من العصور نصيب من القرابين، فقد احتوى الشعر على كثير من الأشعار المتعلقة بالقرابين وأنواعها.
- 6- أثبتت الدراسة أن طقس وأد البنات هو طقس من طقوس عبادة الزهرة وقرابينها، التي هي الأم الكبرى عشتار.
- 7- آمن الجاهليون بأن الميت لا تنتهي حياته عند انتهاء أجله من الدنيا، وإنما ينتقل إلى حياة أخرى جديدة، ولذلك بنوا للميت ما يخلده، وزودوه بكل ما يحتاجه.
- 8- عرف الجاهليون طقس البغاء المقدّس، الذي هو أحد قرابين الرّبة عشتار، وقد وجدت رموز الخصب في أروقة المعابد وفي بنائها الهندسي الخارجي.
- 9- قدّم الجاهلي علاوة على القرابين الحيوانية المعروفة، حيث الدماء تسفك واللحوم توزّع، نوعا خاصا من القرابين، فهو لا يذبحها، وإنما يتركها حرة طليقة، إذ ينذر ناقته أو شاته لآلهته، فيصبح تبعا لذلك النذر، ولا ينقضه متبعا بذلك هواه، فيحرم على نفسه وأهل بيته وأقربائه

الانتفاع من تلك الدابة التي نذر، ركوبا كان أو لحما، فقد كانت تلك الدابة عنده من نصيب آلهته، ولا يسمح لأحد الاقتراب منها أو أن يشرب من لبنها، إلا إذا كان ضيفا نزل على المدينة وهو راحل.

10- يعدّ شُرْب الخمر من القربان المقدّمة للإلهة عشتار، فهو شراب مقدّس، يُشربُ لتحلّ بشاربها روح الآلهة وقوتها المطلقة، ولتمتّزج ذواتهم بذاتها الإلهية.

11- ثمة فرق كبير بين القتل والوَأد في العصر الجاهلي، فالأخير مرتبط بمعتقدات دينية خاصة بعبادة الجاهليين، أمّا الأول "قتل الأولاد" فمرتبط بالفقر والجوع، كما صرّح لنا القرآن الكريم.

12- اعتقد العرب بوجود قوة حيوية في الدم المسكوب من القربان، وإن سكبه على شيء ما يكسبه القوة؛ لأنه يعطيه جزءا من دم الإله، وهو جزء مبارك، ولذلك نجدهم يلطخون رؤوس أبنائهم بدم القربان.

13- قدّم الجاهليون إضافة إلى القربان البشرية والحيوانية والنباتية قربانين أخرى، مثل بناء المعابد والمذابح، وتقديم التماثيل عوضا عن القربان البشرية والحيوانية، وبناء الأسقف والقباب، وتقديم الحلي والذهب، وبناء المحارق... إلخ.

14- عكس الشعر الجاهلي معرفة عرب الجاهلية القربان بأنواعها البشرية والحيوانية والنباتية، ومدى إدراك الجاهلي بأنه لن ينال البرّ حتى يقدم لآلهته أعز ما يملك وأثمنه.

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- الكتاب المقدس.
- 3- إبراهيم، نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ط3، القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، 1966م.
- 4- الأبشيهي، محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، بغداد: المكتبة التجارية الكبرى، (د، ت).
- 5- الأزرق، محمد بن عبد الله أحمد: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحق، (د.ط)، بيروت: دار الأندلس، 1996م.
- 6- إسماعيل، فاروق: الوثنية مفاهيم وممارسات، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1985م.
- 7- الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد: الأغاني، ط1، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1927م.
- 8- الأصمعي، عبد الملك بن قريب: الأسمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط5، القاهرة: دار المعارف، 1979م.
- 9- الأعشى ميمون بن قيس: الديوان، (د.ط)، بيروت: دار صادر، (د.ت).
- 10- آل الشيخ، عبد الرحمن: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الرياض، 1983م.
- 11- الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه وصححه وضبطه: محمد بهجت الأثري، ط2، مصر: المكتبة الأهلية (المطبعة الرحمانية)، 1924م.
- 12- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي: الديوان، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط2، بيروت: دار المعرفة، 2004م.
- 13- أمية بن أبي الصلت: الديوان، جمعه وحققه وشرحه: سجع حميل الجبيلي، ط1، بيروت: دار صادر، 1998م.
- 14- الأندلسي، ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق الدكتور نصرت عبد الرحمن، ط1، عمان: مكتبة الأقصى، 1982م.

- 15- أوس بن حجر: **الديوان**، شرحه الدكتور عمر فاروق الطباع، (د.ط)، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1996م.
- 16- بارو، أندري: **سومر فنونها وحضارتها**، ترجمة وتعليق عيسى سليمان وسليم التكريتي، بغداد: وزارة الثقافة والفنون، 1977م.
- 17- الباش، حسن، السهلي: **المعتقدات الشعبية**، (د.ط)، دار الجليل، 1988م.
- 18- باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين)**، ط2، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م.
- 19- بانجكي، طاهر: **قاموس الخرافات والأساطير**، ط1، طرابلس: جروس برس، 1996م.
- 20- البديل، م.ف: **سحر الأساطير (دراسة في الأسطورة والتاريخ والحياة)**، ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 2005م.
- 21- برو، توفيق: **تاريخ العرب القديم**، ط2، دمشق: دار الفكر، 1996م.
- 22- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق: **مسند البزار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط1، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1988م.
- 23- بشر بن خازم الأسدي: **الديوان**، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1994م.
- 24- البصري، صدر الدين: **الحماسة البصرية**، تحقيق مختار الدين أحمد، ط3، بيروت: عالم الكتب، 1983م.
- 25- البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري**، بيروت: د.ن، 1981م.
- 26- بوتيرو، جان: **الديانة عند البابليين**، ترجمة: وليد الجادر، بغداد: جامعة بغداد، 1970م.
- 27- بيومي، محمد مهران: **بررسي تاريخي قصص قرآن**، ترجمة: سيد محمد راستكو، تهران: شركة انتشارات علمي فرهنگي، (د، ت).
- 28- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى: **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، (د، ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- 29- أبو تمام حبيب بن أوس: **ديوان الحماسة**، شرحه وعلق عليه: أحمد حسن بسج، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.

- 30- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: **تفسير الثعالبي**، الموسم بجواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (د، ت).
- 31- الجاحظ، عمرو بن بحر الكناني: **البيان والتبيين**، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ.
- 32- الجبوري، يحيى: **قصائد جاهلية نادرة**، ط2، بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1988م.
- 33- الجوهري، محمد: **علم الفولكلور (دراسة المعتقدات الشعبية)**، ط1، القاهرة: دار المعارف، 1980م.
- 34- حاتم الطائي: **الديوان**، شرح: يحيى بن مدرك الطائي، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997م.
- 35- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد: **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ.
- 36- الحادرة: **الديوان**، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط2، بيروت: دار صادر، 1982م.
- 37- حارث بن حلزة اليشكري: **ديوانه**، شرحه: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت).
- 38- ابن حبيب، محمد بن حبيب: **كتاب المحبر**، تحقيق إيالة ليختن شتير، بيروت: دار الآفاق الجديدة، (ب. ت).
- 39- حثي، فيليب: **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، ترجمة جورج حداد وعبدالكريم رافق، بيروت: دار الثقافة، 1982م.
- 40- حسّان بن ثابت الأنصاري: **الديوان**، (د.ط)، بيروت: دار صادر، (د.ت).
- 41- حسن، حسن إبراهيم: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط3، بيروت: دار الجيل، 1991م.
- 42- حسن، حسين الحاج: **الأسطورة عند العرب في الجاهليّة**، (د.ط)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1988م.
- 43- الحسين، قصي: **أنثربولوجيّة الصورة والشعر العربي قبل الإسلام**، قراءة تحليلية للأصول الفنية، ط1، طرابلس، لبنان: الأهلية للنشر، 1993م.
- 44- الحصري، إبراهيم بن علي بن تميم: **زهر الآداب وثمر الألباب**، بيروت: دار الجيل.

- 45- الحطيئة، جرول بن أوس: **الديوان**، برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب: مفيد محمد قمحية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م.
- 46- الحفنى، عصام: **المسيح في مفهوم معاصر**، ط1، بيروت: دار الطباعة، 1979م.
- 47- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: **معجم البلدان**، ط2، بيروت: دار صادر، 1995م.
- 48- ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، القاهرة: مؤسسة قرطبة، حديث رقم: 1495، 363/3.
- 49- الحوت، سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ط1، بيروت: مطبعة دار الكتاب، 1955م.
- 50- الحوراني، يوسف: **البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم**، بيروت: دار النهار للنشر، 1978م.
- 51- الحوفي، أحمد محمد: **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م.
- 52-: **المرأة في الشعر الجاهلي**، القاهرة: نهضة مصر، 1374هـ.
- 53- الخربوطلي، علي حسني: **تاريخ الكعبة**، ط3، بيروت: دار الجيل، 1991م.
- 54- الخطيب، محمد: **الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية**، دمشق: دار علاء الدين، 2004م.
- 55- الخوري، بولس الفغاري: **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، بيروت، 2003م.
- 56- داود، سليمان السجستاني: **السنن**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- 57- دغيم، سميح: **أديان العرب قبل الإسلام**، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1995.
- 58- الديك، إحسان: **صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي**، ط1، فلسطين: مجمع القاسمي للغة العربية، 2013م.
- 59- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى**، بيروت: دار الألباب، (د.ت).

- 60- ديلا بورت، ل: بلاد ما بين النهرين (الحضارات البابلية والآشورية)، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب.
- 61- ديورانت ول: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط3، القاهرة: الإدارة الثقافية بالجامعة العربية، 1961م.
- 62- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، حققه الدكتور أنطونيوس بطرس، ط1، بيروت: دار صادر، 2003م.
- 63- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن: مفاتيح الغيب، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1981م.
- 64- الرفاعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، بيروت: دار الكتاب العربي، 1974م.
- 65- زايد، عبد الحميد: الشرق الخالد، (د.ط)، القاهرة: دار النهضة العربية، (د.ت).
- 66- زبيد الطائي: الديوان، تحقيق: نوري القيسي، بغداد: مطابع المعادن، 1963م.
- 67- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، 1971م.
- 68- الزمخشري، جار الله أبو القاسم: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوى، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1970م.
- 69- زهير بن أبي سلمى: الديوان، صنعه أبو العباس ثعلب، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004م.
- 70- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين: شرح المعلقات السبع، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار الطلائع، 2009م.
- 71- زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة: مطبعة الهلال، 1967م.
- 72- السجستاني، أبو داود سليمان: سنن أبي داود، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت).
- 73- السعفي، وحيد: قربان في الجاهلية والإسلام، ط1، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2007م.

- 74- سلامة بن جندل: **الديوان**، صنعه: محمد بن الحسن الأحول، ط1، بيروت: دار الكتاب العرب، 1994م.
- 75- سليم، أحمد أمين: **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، بيروت: دار النهضة العربية، 1989م.
- 76- سليمان، مظهر: **قصة الديانات**، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م.
- 77- السهيلي، محمد توفيق: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، 1980م.
- 78- السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى** (دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين)، ط13، دمشق: دار علاء الدين، 2007م.
- 79-: **لغز عشتار الألوهية الموثقة وأصل الدين والأسطورة**، قبرس: سومر للدراسات والنشر والتوزيع، 1985م.
- 80- ابن سيد الناس، محمد: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، تعليق: محمد إبراهيم رمضان، ط1، بيروت: دار القلم، 1993م.
- 81- السيوطي، جلال الدين: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرين، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1987م.
- 82- الشنفرى الأزدي: **الديوان**، (الطرائف الأدبية)، صنعه: عبد العزيز الميمي، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937م.
- 83- الشهر ستاني، محمد عبد الكريم: **الملل والنحل**، ط2، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1992م.
- 84- الشيخ، حسين: **اليونان**، (د.ط)، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، (د.ت).
- 85- الضبي، محمد بن يعلى بن عامر: **المفضليات**، تحقيق الدكتور قصي الحسين، الطبعة الأخيرة، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2004م.
- 86- أبو طالب: **الديوان**، شرحه الدكتور محمد التونجي، ط2، بيروت: دار الفكر العربي، 1997م.
- 87- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان في تفسير القرآن**، ط1، بيروت: دار المعرفة، 1987م.

- 88- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط2، بيروت:
دار التراث، 1387هـ.
- 89- طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق كرم البستاني، بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر،
(د.ت.).
- 90- عباس، إحسان: تاريخ دولة الأنباط، ط1، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1987م.
- 91- عبد الحكم، عبد الحمين: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، مصر: الهيئة
العامة لقصور الثقافة، 871م.
- 92- عبد الرحمن، نصرت: الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي، (د، ط)، عمان:
دار الفكر، 1976م.
- 93- عبد الغفار، أحمد أمين: الجاهلية قديما وحديثا، الكويت: شركة الشعاع، د.ت.
- 94- عبد الواحد، فاضل: عشتار ومأساة تموز، د.ط، بغداد: وزارة الإعلام العراقية، 1973م.
- 95- عبد الله، يوسف: أوراق من تاريخ اليمن وآثاره، (د.ط)، دمشق: دار الفكر، 1990م.
- 96- عبيد بن الأبرص: الديوان، تحقيق حسن نصار، ط1، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي
الحلبي، 1957م.
- 97- عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، ط1، بيروت: دار
الفارابي، 1994م.
- 98- عدي بن زيد العبادي: الديوان، تحقيق: محمد جبار المعيد، (د.ط)، بغداد: شركة دار
الجمهوريّة للنشر والتوزيع، 1965م.
- 99- عزيز، كارم محمود: أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط1، دمشق:
دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة، 1999م.
- 100- عفيفي، عبد الله: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، القاهرة: مطبعة المعارف،
1932م.
- 101- عكاشة، ثروت: تاريخ الفن العراقي سومر وبابل وأشور، بيروت: مطبعة فينيقيا،
(د،ت.).

- 102- علقمة الفحل، الديوان، شرحه: الأعلام الشنتمري، حققه: لطفي الصقال، ط14، حلب: دار الكتاب العربي، 1969م.
- 103- علي، إبراهيم محمد: اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)، ط1، لبنان: جرس برس، 2001م.
- 104- علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، (د.ت).
- 105- عمرو بن كلثوم: ديوانه، (د،ط)، بيروت: دار صادر، 1996م.
- 106- عمرو بن معدي كرب الزبيدي: شعره، جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، ط2، 1985م.
- 107- عنتر بن شداد: شرح ديوان عنتر، تحقيق عبد المنعم رؤوف شلبي، ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1980م.
- 108- عياد، شكري: البطل في الأدب والأساطير، ط2، دار المعرفة، 1971م.
- 109- فرانكفورت، هنري: ما قبل الفلسفة: الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، بغداد: دار مكتبة الحياة، 1961م.
- 110- فريحة، أنيس: دراسات في التاريخ، بيروت: دار النهار، 1980م.
- 111- فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م.
- 112- فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م.
- 113-: الفلكلور في العهد القديم، ترجمة نبيلة إبراهيم، (د.ط)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م.
- 114- الفيومي، محمد إبراهيم: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط1، بيروت: دار الجليل، 1999م.
- 115- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 116- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الفكر، 1993م.
- 117- قطرب، محمد بن المستنير: الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق: حاتم الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م.

- 118- القمني، سيد محمود: الأسطورة والتراث، ط2، مصر: سينا للنشر والتوزيع، 1993م.
- 119- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي: أخبار النساء، شرح وتحقيق: د. نزار رضا، بيروت: منشورات مكتبة الحياة، 1982م.
- 120- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، 1419هـ.
- 121-: البداية والنهاية، القاهرة: دار الريان للتراث، 1988م.
- 122- كريم، صموئيل: السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، الكويت: وكالة المطبوعات، (د.ت.).
- 123- ابن كلب، هشام بن محمد السائب، الأصنام، حققه الأستاذ: أحمد زكي، القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر، 1964م.
- 124- كنتينو، جورج: الحضارة الفينيقية، ترجمة د. عبد الهادي شعيرة، مراجعة د. طه حسين، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م.
- 125- البهيتي، نجيب محمد: الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987م.
- 126- ليبيد بن ربيعة: الديوان، تحقيق إحسان عباس، الكويت: سلسلة التراث العربي، 1962م.
- 127- ماجدي، خزعل: الدين المصري، ط1، الأردن: الشروق للدعاية والإعلان والتسويق، 1995م.
- 128-: المعتقدات الإغريقية، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م.
- 129-: إنجيل بابل، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1988م.
- 130-: بخور الآلهة، ط1، لبنان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م.
- 131-: متون سومر، التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م.
- 132- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي: الكامل في اللغة والأدب، بيروت: مكتبة المعارف، (د.ت.).
- 133- المثقب، العبدى: الديوان، حققه حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، 1971م.

- 134- محمود، محمود عرفة: العرب قبل الإسلام، ط1، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995م.
- 135- مسعود، ميخائيل: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1994م.
- 136- المعري، أبو علاء: رسالة الغفران، بيروت: دار القلم، 1975م.
- 137- منبه، وهب: كتاب التيجان في ملوك حمير، دمشق: دار العرب: دار نور حوران للدراسات والنشر والترجمة، 2014م.
- 138- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر.
- 139- مهران، محمد بيومي: الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، 2008م.
- 140- النابغة الذبياني: الديوان، حققه كرم البستاني، (د.ط)، بيروت: دار صادر، (د.ت).
- 141- النجيري، إبراهيم بن عبد الله: أيمان العرب في الجاهلية، حققه وعلق على حواشيه: محب الدين الخطيب، ط2، مصر: المطبعة السلطانية، 1962م.
- 142- نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1994م.
- 143- النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ط1، القاهرة: دار سينا للنشر، 1995م.
- 144- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1931م.
- 145- نيلسن، ديتلف: التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، 1958م.
- 146- هاري، ساكر: عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، ط2، الموصل: جامعة الموصل، 1979م.
- 147- الهاشمي، طه: تاريخ الأديان وفلسفتها، ط1، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1963م.
- 148- الهذليون: الديوان، (د.ط)، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م.

- 149- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، مصر: شركة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، 1970م.
- 150- هوك، صموئيل: ديانة بابل وآشور، ترجمة: نهاد خياطة، دمشق: العربي للطباعة والنشر، 1987م.
- 151- وافي، علي عبد الواحد: غرائب النظم والتقاليد والعادات، (د.ط)، مكتبة نهضة مصر، (د.ت).
- 152- الواقدي، محمد بن عمر: كتاب المغازي، بيروت: عالم الكتب، 1965م.
- 153- يحيى، أحمد إسماعيل: الحية في التراث العربي، بيروت: المكتبة العصرية، 1997م.
- 154- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، 1960م.

الدوريات:

- الجرو، أسهمان سعيد: الديانة عند قدماء اليمنيين، مجلة دراسات يمنية، العدد 48، 1992م.
- الحقيّل، إبراهيم بن محمد: لبرالية العرب في الجاهلية، مجلة الألوكة الشرعية، 2012م.
- الدروبي، حافظ: الطقوس الدينية في المعبد الخامس في الحضر، مجلة سومر، مجلد 26، 1970م.
- الديك: إحسان: النماذج البدنية في الأغنية الشعبية الفلسطينية، أغنية (بكرة العيد وبنعيد) نموذجا، مجلة جامعة النجاح للأبحاث/ العلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين، م24، ع7، تموز، 2010م.
- أبو رحمة، خليل: قراءة في تلبيات العرب في العصر الجاهلي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 1982م.
- كريم، سيد: السحر والسحرة عند قدماء المصريين، مجلة الهلال، ع1، يناير، 1975م.
- المعاني، سلطان عبد الله: التكريس عند العرب في النصوص النقشية العربية القديمة، مجلة المنارة، المجلد4، العدد1، 1999م.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Oblation in the Pre-Islamic (Jahili) Poetry

By
Ahmad Mahmoud Joma' Abu Al-Haija

Supervisor
Prof. Ihsan al-Dik

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for
the Degree of Master of Arabic Language and Literature, Faculty of
Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.**

2018

Oblation in the Pre-Islamic (Jahili) Poetry

By

Ahmad Mahmoud Joma' Abu Al-Haija

Supervisor

Prof. Ihsan al-Dik

Abstract

This study, which is entitled as “Oblation in the Pre-Islamic (*Jahili*) Poetry, consists of four sections, namely: an introduction and three chapters. The introduction presents the reasons behind choosing such topic and the most important references upon which the study is based. Furthermore, the first chapter consists of a prelude and two sub-sections. To begin with, the prelude talks about the meaning of the word “oblation” in Arabic introducing the first sub-section which talks about the veneration of oblation in the human heritage. In other words, it is what makes the worshipper closer to his god, which is the protective armor from the wrath of god. Besides, the presenter of the oblation gains a high social status among people.

Differences are not found among nations concerning oblation in the second sub-section, which is entitled as “Oblation in the *Jahili* Heritage”. In fact, almost all the nations agree that they have duties towards their gods, which should be practiced. If they are not practiced, the wrath of the gods will fall upon them, consequently, oblation is the only favorite thing to the gods leading to peace and security.

The second chapter talks about the evolution of oblation in the *Jahili* era that it developed radically. In other words, it ranged from human sacrifice presented, which the *Jahili* people practiced by burying their daughters, to

sacrificing animals and plants. The previously mentioned comes after a long way of evolution and maturity in the *Jahili* mentality.

The third chapter talks about the lines, in which oblation is mentioned in the *Jahili* poetry that it tackles the relationship of oblation with many topics, namely: bloodshed, sacred prostitution, wine, taking oaths, vows, gifts, welcoming, pilgrimage, idle service and hospitality.

In the conclusion, the researcher concludes the main results of the study followed by the alphabetically ordered sources.